جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

أنين الفصحى
في الشعر المعاصر
همزية وليد قصاب أنموذجا

الدكتور

محمد الصاوي محمد الصاوي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية في كلية العلوم والآداب بالقريات
جامعة الجوف ـ المملكة العربية السعودية .
مدرس الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
جامعة الأزهر ـ فرع كفر الشيخ ـ جمهورية مصر العربية .

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م
الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

أنين الفصحى في الشعر المعاصر همزية وليد قصاب أنموذجا

محمد الصاوي محمد الصاوي.

قسم اللغة العربية في كلية العلوم والآداب بالقريات ـ جامعة الجوف ـ المملكة العربية السعودية .

قسم الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ـ جامعة الأزهر ـ فرع كفر الشيخ ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: : mas2013d@yahoo.com

الملخص

واجهت العربية الفصحى في العصر الحديث هجمة شرسة شنها أعداء الإسلام من المستشرقين ، وآزرهم فيها نفر من بني جلدتنا ؛ بغرض القضاء على الفصحى ، والقرآن الكريم ، وتمزيق شمل العرب والمسلمين ، وبتر ما بينهم وبين تراثهم التليد من صلة ، وقد فطن لذلك المخلصون من علماء الأمة وأدبائها منذ ذلك الحين ، فوقفوا في وجه أولئك الماكرين الحاقدين مدافعين عن الفصحى ، مبرزين فضلها ومكانتها وشرفها .

و(همزية) الدكتور وليد قصاب تمثل صوت الفصحى الحزين في شعرنا المعاصر الذي يعكس حالها البائس بين أبنائها ، ويدافع عنها ، ويدعو إلى التمسك بها ، والمحافظة عليها لا سيما في عصر الثورة التكنولوجية الذي نعيش فيه الآن .

وهذه الدراسة قد سلطت الضوء على حياة قصاب ومعالم إبداعه الأدبي ، ثم عرضت نص القصيدة ، وبينت ما حدث فيه من تنقيح وتغيير وزيادة ، ثم تناولت (البناء الفكري في القصيدة) من خلال عرض الأفكار التي دارت حولها تلك التجربة الإبداعية ، مثل : أنين اللغة العربية ، وشكواها عقوق أبنائها ، وفخر العربية ، وتشريفها بالقرآن الكريم ، وضياع الفصحى بجهل أبنائها ، وأمارات ذلك ، وإدراك القدماء فضل العربية دون بعض المحدثين ، ومقومات حفظ اللغة وتراثها ، ثم ثقة العربية ، وعزتها وشموخها .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثم تناولت (البناء الفني في القصيدة) من خلال الحديث عن العنوان ، والمطلع ، و حسن التخلص ، والختام ، ثم عرضت للتعبير الشعري من خلال دراسة الألفاظ ودلالاتها ، ثم الأساليب وأهم ظواهرها كالتكرار ، والاقتباس والتضمين ، والحكمة ، ثم تناولت التصوير الشعري ، وجاء الحديث عن الإيقاع الموسيقي ختاما لدراسة البناء الفني في القصيدة .

وقد كشفت دراسة (الهمزية) عن مكانة الدكتور وليد قصاب بين كبار شعراء الفصحى الغيورين عليها ، المنافحين عنها بفنهم من أمثال حافظ إبراهيم الذي عبد الطريق بـــ (تائيته) المشهورة لمن خلفه من الشعراء دفاعا عن اللغة العربية ، ومنهم قصاب الذي تأثر بها في (همزيته) ، كما أوضحت الدراسة ـــ أيضا ـــ سمو تجربة شاعرنا ، وصدق عاطفته ، وروعة خياله ، وأصالة فنه ، وتمكنه من أدواته فيها على نحو عكس شعوره بالأسى والمرارة والألم تجاه ما تعانيه لغتنا الفصحى منذ عقود الاحتلال الأجنبي لأقطار العروبة حتى وقتنا الراهن من جهة ، وبما يضمن له تفاعل المتلقي معه ، ومشاركته إياه ما يمور بداخله من مشاعر وأحاسيس من جهة أخرى .

الكلمات المفتاحية : أنين الفصحى ـــ الشعر المعاصر ـــ همزية وليد قصاب.

The moan of al-Fusha in contemporary poetry - Hamziyya Walid Kassab as a model

Mohammad El-Sawy Mohammad El-Sawy

Assistant Professor, Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences in Qurayyat - Jouf University - Kingdom of Saudi Arabia.

Lecturer of literature and criticism at the Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls - Al-Azhar University - Kafr El-Sheikh branch.

Email: mas2013d@yahoo.com

Abstract

Classical Arabic faced in the modern era a fierce onslaught launched by the enemies of Islam from the orientalists, supported by a group of our countrymen. With the aim of eliminating classical texts and the Holy Qur'an, tearing apart the Arabs and Muslims, and cutting off what is between them and their long-standing heritage, the faithful scholars and literary figures of the nation have been aware of that since then, and have stood in the face of those malevolent cunning, defending the fusha, highlighting its merit, position and honor.

And (Hamziya) Dr. Walid Kassab represents the sad voice of al-Fusha in our contemporary poetry, which reflects its miserable condition among its children and defends it, and calls for its adherence to and preservation, especially in the era of the technological revolution in which we live now.

This study shed light on the life of Kassab and the milestones of his literary creativity, then presented the text of the poem, and showed what happened in it in terms of revision, change and increase, then dealt with (the intellectual structure in the poem) by presenting the ideas around which this creative experience revolved, such as: the whining of the Arabic language And they complained about the disobedience of its children, the pride of Arabic, its honor of the Holy Qur'an, the loss of classical Arabic through the ignorance of its children, and the signs of that,

and the ancients 'perception of the virtue of Arabic without some of the modernists, the basics of preserving the language and its heritage, then the confidence of Arabic, its pride and glory.

Then I dealt with (the artistic construction in the poem) by talking about the title, the insight, the good disposal, and the conclusion, then it presented the poetic expression by studying the expressions and their connotations, then the methods and their most important phenomena such as repetition, quotation, inclusion, and wisdom, then addressed poetic photography, and the conversation came On musical rhythm as a conclusion to study the artistic construction in the poem.

The study of (Hamziyyah) revealed the position of Dr. Walid Kassab among the great classical poets who are jealous of it, those who advocate for it with their art, such as Hafez Ibrahim, who paved the way with his famous poets who succeeded him in defense of the Arabic language, and among them Kassab who was influenced by it in his (Hamzitah), As the study showed - also - the highness of our poet's experience, the sincerity of his affection, the splendor of his imagination, the originality of his art, and his ability to use his tools in it in contrast to his feeling of grief, bitterness and pain about what our classical language has been suffering since the decades of foreign occupation of Arab countries until the present day, on the one hand, and by what He is guaranteed to interact with the recipient, and to share with him the feelings and emotions going on in him on the other hand.

Keywords : Moan Al-Fusha - Contemporary Poetry - Hamzia Walid Kassab.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي العدنان ، هدى الله ــ تعالى ــ به الأمم ، وآتاه جوامع الكلم ، فكان أفصح الناطقين بالضاد من عرب ومن عجم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد

فقد شرف ربنا ــ سبحانه ــ العربية الفصحى بجعلها لغة كتابه العزيز، وحفظها بحفظه ، كما أنها وعت تراثنا العربي والإسلامي الذي قامت عليه حضارة أمتنا في عهود ازدهارها وقوتها ، ومنه اقتبست الأمم الأخرى ما بددت به عصور ظلامها ، وأضاءت به مستقبلها حتى إذا ما نهضت يممت وجهها شطر بلاد العروبة والإسلام ، وقامت باحتلالها في العصر الحديث ، وسخرت رجالها من علماء الاستشراق وأذنابهم من بني جلدتنا لطمس هويتنا ، فشنُّوا حربا ضارية على لغتنا الفصحى ؛ بغية إضعافها ، وهدم قواعدها وأصولها وصولا إلى هدفهم الأكبر ، وهو القضاء على القرآن الكريم ثم الإسلام ، بعد قطْع صلة العرب والمسلمين بتراثهم .

غير أن علماء الأمة وأدباءها المخلصين قد فطنوا منذ ذلك الحين إلى هذه الحرب الخبيثة ، فوقفوا في وجه أولئك الماكرين الحاقدين مدافعين عن الفصحى ، مبرزين فضلها ومكانتها وشرفها ، ومن هؤلاء الأوفياء شاعرنا الدكتور وليد قصاب في (همزيته) التي اخترت دراستها أنموذجا للشعر المعاصر ؛ لما لمست فيها من شرف موضوع ، وصدق عاطفة ، وروعة خيال ، وأصالة فن ، ففيها أبدع قصاب في رسم معاناة الفصحى ، وجسد

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حالها البائس بين أبنائها ، لا سيما في عصر الثورة التكنولوجية الذي نعيش فيه الآن ، لعله يجد آذانا تصغي ، وقلوبا تعي ، وضمائر حية تستيقظ .

وقد جاءت دراسة هذه القصيدة تحت عنوان : (أنين الفصحى في الشعر المعاصر ــ همزية وليد قصاب أنموذجا) هادفة إلى تسليط الضوء على جانب من الجهود الحثيثة للدكتور وليد قصاب في المحافظة على اللغة العربية من خلال إبداعه الشعري ، وبيان مدى تأثره في (همزيته) بشاعر النيل حافظ إبراهيم في (تائيته) المشهورة التي كانت فتحا للشعراء في الدفاع عن اللغة العربية ، مع الكشف عن شخصية قصاب الأدبية ، ودرجة تمكنه من أدواته الفنية .

وفي سبيل ذلك اتكأت هذه الدراسة على المنهج التكاملي ، واقتضت طبيعتها أن تأتي في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة .

ففي المقدمة : تحدثت عن طبيعة الموضوع ، واختياره ، والهدف من دراسته، والمنهج المتبع في معالجته، والخطة التي سرت عليها في تناوله .

ثم جاء التمهيد بعنوان : (بين الشاعر والقصيدة) ، وتناولت فيه حياة وليد قصاب ، ومعالم إبداعه الأدبي ، ثم عرضت نص القصيدة في ديوانه (فارس الأحلام القديمة) ، وفي (منتدى مجمع اللغة العربية ــ بمكة ــ على الشبكة العالمية) .

ثم جاء المبحث الأول بعنوان : (البناء الفكري في القصيدة) ، وبينت فيه جو النص ، ثم عرضت البناء الفكري في (الهمزية) من خلال الأفكار التالية :

١ ــ أنين اللغة العربية ، وشكواها عقوق أبنائها.

٢ ــ فخر العربية ، وتشريفها بالقرآن الكريم .

٣ ــ ضياع الفصحى بجهل أبنائها ، وأمارات ذلك .

٤ ــ فضل العربية عرفه القدماء ، وجحد به بعض المحدثين .

٥ ــ مقومات حفظ اللغة وتراثها .

٦ ــ ثقة العربية ، وعزتها وشموخها .

ثم جاء المبحث الثاني بعنوان : (البناء الفني في القصيدة) ، وتحدثت فيه عن بناء القصيدة من حيث العنوان ، والمطلع ، و حسن التخلص ، والختام ، ثم عرضت للتعبير الشعري من خلال دراسة الألفاظ ودلالاتها ، ثم الأساليب وأهم ظواهرها كالتكرار ، والاقتباس والتضمين ، والحكمة ، ثم تناولت التصوير الشعري ، وختمت هذا المبحث بالحديث عن الإيقاع الموسيقي ، ثم جاءت الخاتمة متضمنة أهم نتائج الدراسة مردوفة بمصادر البحث ومراجعه .

وبعد ، فأسال المولى ــ سبحانه ــ التوفيق والسداد ، والإخلاص في القول والعمل ، إنه سميع الدعاء ، وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباحث

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تمهيد

بين الشاعر والقصيدة

أولا ـ وليد قصاب (رحلة حياة ، ومعالم إبداع) :

شاعرنا هو: وليد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن إبراهيم قصَّاب، ولد بمدينة دير عَطيَّة من مدن القلمون السورية سنة (١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م) ، ونشأ وترعرع في دمشق ، بلاغي وناقد كبير، من علماء العربية وأدبائها المبدعين المرموقين ، شاعر وقاص ، وباحث ومحقق ، وأستاذ جامعي ، يعد من أقطاب الأدب الإسلامي ، وغصة في حلوق الحداثيين .

تعليمه ودراساته :

تدرج شاعرنا منذ طفولته في مراحل التعليم المختلفة بتفوق في مدارس دمشق حتى وصل إلى المرحلة الجامعية ، فانتسب إلى كلية الصيدلة بجامعة دمشق ، ثم آثر الانتقال إلى كلية الآداب للتخصص بعلوم العربية ميلا إليها ، وحبا فيها ، فأتم دراسته فيها عام ١٩٧٠ م ، بتقدير جيد جدا ، ثم تابع دراسته العليا في جامعة القاهرة ؛ إذ نال منها شهادة الماجستير في الآداب قسم اللغة العربية عام ١٩٧٣ م بتقدير امتياز ، عن بحثه (قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم، ظهورها وتطورها) ، بإشراف الأستاذ الكبير د. يوسف خليف ، ثم حصل على الدكتوراه في الآداب قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة كذلك عام ١٩٧٦ م بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى ، عن أطروحته (التراث البلاغي والنقدي للمعتزلة حتى القرن السادس الهجري)، بإشراف العلامة د. شوقي ضيف.

كما حصل شاعرنا على دبلوم في التربية من جامعة دمشق عام ١٩٧١ م ، وفي عام ١٩٨٠ م حصل على دبلوم في الصحافة من جامعة (Wane State) في الولايات المتحدة الأمريكيّة.

وظائفه وأعماله :

اضطلع الدكتور وليد قصاب بالتدريس ، ثم المناقشة والإشراف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه في عدد من الجامعات العربيَّة منذ أكثر من ثلاثين سنة منها جامعة حلب في سوريا، وجامعة الملك سعود بالرياض (١٩٧٧-١٩٨٢م)، وجامعة الإمارات العربية (١٩٨٢-١٩٨٨م) ، وكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي (١٩٨٩-٢٠٠٢م) ، وجامعة عجمان (٢٠٠٢-٢٠٠٣م) ، ثم استقر به الحال أستاذاً للدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض .

وتجدر الإشارة إلى أن شاعرنا عمل سنوات في الصحافة مستشاراً ثقافيًّا لعدد من المجلات ، منها : (الفيصل ، ودبي الثقافية ، والصدى ...). وتولى إدارة تحرير مجلة (الدراسات الإسلامية والعربية) في دبي ثماني سنين .

وإلى جانب عضويته في اتحاد الكتاب العرب ، يعد شاعرنا أحد كبار أعضاء رابطة الأدب الإسلامي ، وهو الآن مدير تحرير مجلَّة (الأدب الإسلامي) التي تصدرها هذه الرابطة العالميَّة .

فضلا عن حضوره البارز في عدد من البرامج الثقافيَّة التلفازية والإذاعية العربية ، ومشاركاته الواسعة في كثير من المؤتمرات والندوات العلمية ، والأمسيات شعرية والقصصية في أرجاء وطننا العربي ، كما اختير

عضوًا في لجان تحكيم عدد من الجوائز الكبرى ، منها: جائزة البابطين ، وجائزة سلطان العويس ، وجائزة الألوكة الكبرى للإبداع الروائي ... وغيرها .

وقد نال شاعرنا عددا من الجوائز، أهمها: جائزة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٧٢م ، وجائزة محمد حسن فقي للنقد الأدبي سنة ١٩٩٧م ، وجائزة سعاد الصباح للقصة القصيرة .

نتاجه العلمي وإبداعاته الفنية :

تميز الدكتور وليد قصاب بغزارة نتاجه العلمي تحقيقا وبلاغة وأدبا ونقدا ؛ فقد حقق من كتب التراث :

١- القسم الأول من كتاب (الأوائل) للعسكري، وزارة الثقافة، دمشق: ١٩٧٥م (ط أولى) ، ودار العلوم، الرياض: ١٩٨٢ (ط ثانية).

٢- القسم الثاني من كتاب (الأوائل) للعسكري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٦م(ط أولى) ، ودار العلوم، الرياض: ١٩٨٢ (ط ثانية).

٣- ديوان عبد الله بن رواحة (جمع وتحقيق ودراسة) دار العلوم، الرياض، ١٩٨٢م (ط أولى) ، ودار الضياء، عمّان: ١٩٨٨م (ط ثانية).

٤- كتاب الأفضليّات، لابن الصّيرفي ، مجمع اللغة العربية، دمشق: ١٩٨٣م.

٥- ديوان محمود الورّاق شاعر الحكمة والموعظة (جمع وتحقيق ودراسة) مؤسسة الفنون، عجمان: ١٩٩١م ، ودار صادر، بيروت: ٢٠٠١م، (ط ثانية).

٦- الأشراف: ابن أبي الدنيا، دار الثقافة، الدوحة: ١٩٩٢م.

ومن كتبه المؤلفة في البلاغة والأدب والنقد :

١- قضيّة عمود الشعر في النقد العربي، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٠م (ط أولى) ، والمكتبة الحديثة، العين: ١٩٨٥م (ط ثانية) ، ودار الثقافة، قطر: ١٩٩٢ (ط ثالثة).

٢- الطّرمّاح بن حكيم (شاعر الخوارج) القاهرة: ١٩٧٨م.

٣- دراسات في النقد الأدبي، دار العلوم، الرياض: ١٩٨٣م.

٤- التراث البلاغي والنقدي للمعتزلة، دار الثقافة، الدوحة: ١٩٨٥م.

٥- في اللغة والأدب والنّقد (بالاشتراك) دار الفلاح، الكويت: ١٩٨٦م.

٦- نصوص النظريّة النقديّة عند العرب، المكتبة الحديثة، العين: ١٩٨٧م.

٧- النظرة النبويّة في نقد الشعر، المكتبة الحديثة، العين: ١٩٨٨م (ط أولى) ، ودار المنار، دبي: ١٩٩٢م (ط ثانية).

٨- شخصيّات إسلامية في الأدب والنّقد، دار الثقافة، الدوحة: ١٩٩٢م.

٩- الحداثة في الشعر العربي المعاصر، حقيقتها وقضاياها: دار القلم، دبي: ١٩٩٧م.

١٠- قطريّ بن الفُجاءة (ندوة أدب الخليج)، جامعة الإمارات: ١٩٩٨م (ط أولى) ، ودار الثقافة قطر: ١٩٩٣م (ط ثانية).

١١- في الأدب الإسلامي: دار القلم، دبيّ: ١٩٩٨م.

١٢- البلاغة العربية (البيان والبديع) دار القلم، دبي: ١٩٩٨م.

١٣- البلاغة العربية (علم المعاني) دار القلم، دبي: ١٩٩٩م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٤- في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار القلم، دبيّ: ٢٠٠٠م.

١٥- من صيد الخاطر (في النقد الأدبي) دار البشائر، دمشق: ٢٠٠٣م.

١٦- الخطاب الحداثي الأدبي (أصوله ومرجعيّته) دار الفكر، دمشق: ٢٠٠٥م.

١٧- النقد العربي القديم: نصوص في الاتجاه الإسلاميّ، دار الفكر، دمشق: ٢٠٠٥م.

١٨- المذاهب الأدبية الغربية: رؤية فكريّة وفنيّة، مؤسسة الرسالة، بيروت: ٢٠٠٥م.

١٩- مقالات في الأدب والنّقد: دار البشائر، دمشق: ٢٠٠٥م.

٢٠- مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية ، دار الفكر، دمشق: ٢٠٠٧م.

٢١- من قضايا الأدب الإسلامي ، دار الفكر، دمشق: ٢٠٠٨م.

٢٢- إشكالية الأدب الإسلامي ، دار الفكر، دمشق: ٢٠٠٩م.

وفي جانب الإبداعات الفنية ، له من الدواوين الشعرية :

١- يوميّات من رحلة بحّار ، القاهرة ١٩٧٧م.

٢- عالم وضحايا ، القاهرة: ١٩٧٩م.

٣- صور من بلادي ، دار البشير، عمان: ١٩٨٥م(ط أولى) ، والمكتبة الحديثة، العين: ١٩٨٧م. (ط ثانية).

٤- ذكريات وأصداء ، نادي الرياض الأدبي: ١٩٨٥م(ط أولى) ، والمكتبة الحديثة: ١٩٨٦م (ط ثانية).

٥- فارس الأحلام القديمة ، دار الثقافة، الدوحة: ١٩٩٠م.

٦- أشعار من زمن القهر ، دار القلم دبيّ: ١٩٩٦م

٧- من شجون الغرباء ، مؤسسة الرسالة، بيروت: ٢٠٠٠م.

٨- انكسارات ، مؤسسة الرسالة، بيروت: ٢٠٠٥م.

٩- صفحات من سيرة عنترة ، دار التوبة، الرياض: ٢٠٠٩م.

وله من المجموعات القصصية :

١- هديّة العيد، وزارة الثقافة، دمشق: ١٩٧٣م.

٢- الخيط الضّائع ، القاهرة: ١٩٧٨م.

٣- البوح ، دار الفكر، دمشق: ٢٠٠٢م.

٤- يوم من اللامبالاة ، مؤسسة الرسالة، بيروت:٢٠٠٥م.

٥- الصرخة، دار الفكر، دمشق: ٢٠٠٧م. [١]

---

(١) ينظر : معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م ــ كامل سلمان الجبوري ــ ج ٦ ــ ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٣م ــ ١٤٢٤هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان . وينظر : معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين ــ أحمد الجدع ــ ص ١٣٣٧ : ١٣٤٤ ــ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م ــ دار الضياء ــ عمَّان ــ الأردن . وكذا : شبكة الألوكة ــ موقع الدكتور وليد قصاب ــ السيرة الذاتية ــ آخر مطالعة بتاريخ ٢٠٢٠/٦/١٠م على الرابط التالي :
https://www.alukah.net/web/alkassab/cv/
ــ وكذا : رابطة أدباء الشام ــ الأديب الناقد الدكتور وليد القصاب ــ بقلم : أيمن بن أحمد ذو الغنى ــ آخر مطالعة بتاريخ ٢٠٢٠/٦/١٠م على الرابط التالي :
http://www.odabasham.net/تراجم/٥٦٠٧٨-الأديب-الناقد-الدكتور-وليد-القصاب

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وما تزال حياة شاعرنا ــ بارك الله في عمره ــ عامرة بالعطاء العلمي النافع ، حافلة بالإبداع الفني الهادف ، فجزاه الله خيرا .

ثانيا ـ نص القصيدة :

- أ ــ القصيدة في ديوان الشاعر (فارس الأحلام القديمة) بعنوان:
- العربيةُ تشكو أبناءَها ــ من الكامل ــ

١. أشكُو الزمانَ وقلَّةَ النُّصَرَاءِ وتَوَثُّبَ الحُسَّادِ والأعداءِ
٢ .وأرى الحِرَابَ تجمَّعَتْ لتنُوشَني وتَعِيْثَ في دَوحِيْ وفي أفيائي
٣ .ويَعُقُّني مِنْ كنتُ أرجو حبَّهم ووِدادَهم ، في الليلةِ الظَّلماءِ
٤ .وأرى ازوِرارًا في وُجوهِ أحبَّتي وتنكُّبًا عن أيكَتي الخضراءِ
٥ .لكنَّ قلبي ليس يصدَعُه سوى جَحْدِ الحبيبِ وقسوةِ الأبناءِ
٦ .ربَّيْتُهُم في دَوحَتي أعطيْتُهم من جَنَّتي وكسَوْتُهم بردَائي
٧ .ومنَحْتُهم حُلَلَ الفَخَارِ قَشيبةً فَخرًا يجاوِزُ جَبهةَ الجَوْزَاءِ
٨ .لكنَّهم لم يَدْفَعُوا عن حُرمَتي أو يُعْظِمُوا قَدري وحقَّ وفائي
٩ .أنا أمُّهم ، أمُّ اللغاتِ جميعِها فضلٌ خُصِصْتُ به على النُّظَرَاءِ
١٠ .إني أنا الضادُ التي قد شُرِّفَتْ وتفرَّدَتْ بمحاسنٍ وبهاءِ
١١ .اللهُ عظَّمها فصاغَتْ وَحْيَه بالمعجزاتِ وبالسَّنَا الوُضَّاءِ
١٢ .عَرَضَتْه في لفظٍ بهيٍّ ساحرٍ وجمالِ إيقاعٍ وحُسنِ أداءِ
١٣ .صاغَتْه فكرًا مُعْجِزًا متألِّقًا خرَّتْ لديه أكابرُ الفُصَحَاءِ
١٤.قد صارتِ الفُصحى يتيمًا ضائعًا ما بينَ أبناءٍ لها جُهَلاَءِ
١٥ .لا يعرِفُون أصولَها وجُذورَها أو يَغتَذون برَوضِها المِعْطَاءِ
١٦ .هَجَرُوا الكتابَ فضاعَ سمتُ كلامِهم واعتاصَ نطقُ حروفِهم بَصَفَاءِ
١٧ .كم من خطيبٍ بينكم لحَّانةٍ مُسِخَتْ لديه ملامحُ الأشياءِ
١٨ .رَفَعَ المضافَ ولم يُوَقِّرْ حقَّه أو جرَّ أسماءً بلا استحياءِ

١٩ .ولربَّما نصبَ الكلامَ جميعَه ... من غيرِ ما فرقٍ ولا استثناءِ

٢٠ .ومحاضرٍ هَصَرَ الحديثَ مكسِّرًا ... ضِلْعَ الحروفِ ورَقْبَةَ الأسماءِ

٢١ .وإذا تحدَّثَ في الدروسِ معلِّمٌ ... هجرَ الأصيلَ إلى لُغَى الدَّهْمَاءِ

٢٢ .رَطَنُوا بغيري ذِلَّةً وخَساسةً ... هانت عليهم عِشْرتي وإخائي

٢٣ .كم زاحَمَتْني أَلْسُنٌ عجميَّةٌ ... وعَدَتْ عليَّ رَطَانَةُ الهُجَنَاءِ

٢٤ .ما بالُهم لا يعبؤونَ بحُرْمَتي ... أو يَشفعونَ لذِلَّتي وعَنَائي؟!

٢٥ .أصبحتُ أسألُ : أينَ أهلُ مودَّتي؟ ... أينَ الصِّحَابُ؟ وأينَ أهلُ رجائي؟!

٢٦ .كم صُغْتُ من حَسَنٍ ومن أعجوبةٍ ... وخَطَرْتُ فوقَ حديقةٍ زهراءِ

٢٧ .ورقصتُ في ثوبٍ بهيٍّ ساحرٍ ... كالغِيْدِ بينَ أناملِ الشعراءِ

٢٨ .كم سُحْتُ في دنيا العلوم رشيقةً ... أختالُ بينَ أزاهرِ العلماءِ

٢٩ .جابُوا بحورَ مدائني فمنحتُهمْ ... ما فيَّ من ذهبٍ ومِنْ لألاءِ

٣٠ .واليومَ ما مِنْ جاهلٍ متعالمٍ ... لم يَشْدُ بعدُ معالمَ الإملاءِ

٣١ .إلاَّ ويُفتي في أُموريَ ضَلَّةً ... ويمورُ من حقدٍ وطولِ عداءِ

٣٢ .ويقولُ: إني قد غَدَوتُ عتيقةً ... وأَضيقُ عن علْمٍ وعن أنباءِ

٣٣ .إن اللسانَ على النفوس علامةٌ ... وبه تُقاسُ أصالةُ الأُصَلاَءِ

٣٤ .وبه تُمَيَّزُ أمَّةٌ من غيرِها ... وبه افتخارُ الفتيةِ الشُّرَفَاءِ

٣٥ .كم من لغاتٍ في الورى مَطموسةٍ ... نَبُهَتْ بفضلِ رجالِها النُّجَبَاءِ

٣٦ .فبنُو اليهودِ تمسَّكُوا بلسانِهمْ ... أحْيَوْهُ من موتٍ وطولِ عَفَاءِ

٣٧ .وأرى بَنِيَّ تنكَّرُوا لجلودهم ... واستعبدَتْهُم أَلْسُنُ الغُرباءِ

٣٨ .وتنكَّبُوا ظَهرَ الطَّريقِ لأمِّهم ... أفَبَعْدَ ثَدْيِ الأمِّ من أثداءِ؟ [1]

* * * * * * * * * * *

(١) ديوان فارس الأحلام القديمة ، ص٧٠- ٧٤ ، دار الثقافة ، الدوحة : ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م . والقصيدة مرفوعة على موقع الشاعر على شبكة الألوكة ؛ آخر مطالعة بتاريخ ٢٠٢٠/٦/١٣م على الرابط التالي : https://www.alukah.net/web/alkassab/10510/85/

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- ب ــ القصيدة في منتدى مجمع اللغة العربية ــ بمكة ــ على الشبكة العالمية

- بعنوان: العربية تشكو حظها بين أبنائها ـ من الكامل ـ

١ــ أشكُــو إلــى ربــي عظيــمَ بلائــي وتَوَثُّــبَ الحُسَّــادِ والأعــداءِ
٢ـ وأرى الحِرَابَ تجمَّعَتْ لتنُوشَنِــي وتَعِيثَ فـي دَوحِـي وفـي أفنائـي
٣ــ مــن كــل فــج ظــاهروا في ذلتــي كثــر الــذين يســرهم إفنائــي
٤ـ ويَعُقُّـني مـنْ كنـتُ أرجـو نصـرهم ووِدادَهـم ، فـي الليلـةِ الظَّلمـاءِ
٥ــ وأرى ازوِرارًا في وُجـوهِ أحـبتي وتنكُّبًـا عـن أيكَـتي الخضـراءِ
٦ـ لكنَّ قلبي ليس يصدَعُه سوى جَحْـدِ الحبيبِ ، وجفوةِ الأبنـاءِ
٧ــ ربَّيْـتُهُم في دَوحَـتي ، أعطيْـتُهم مـن جـنَّتي ، وكسَـوْتُهم بردَائـي
٨ــ ومنَحْـتُهم حُلَـلَ الفَخَـارِ قَشـيبةً فَخـرًا يجـاوِزُ جَبهـةَ الجَـوْزَاءِ
٩ــ لكـنَّهم لم يَـدْفَعُوا عـن حُـرمَتي أو يُعْظِمـوا قـدري وحَـقَّ وفـائي
١٠ـ أنـا أمُّهـم ، أمُّ اللغـاتِ جميعِهـا فضـلٌ خُصِصْتُ بـه علـى النُّظَـرَاءِ
١١ــ إنـي أنـا الضـادُ الـتي قـد شُرِّفَـتْ وتفـرَّدَتْ بمحـاسنٍ وبهـاءِ
١٢ــ اللهُ عظَّمهـا فصـاغَتْ وَحْيَـه بـالمعجزاتِ وبالسَّـنَا الوضَّـاءِ
١٣ــ نـزل الكتـاب بهـا فصـارت وحدهـا قُدُسِيـةَ القَسَمـات والأسمـاءِ
١٤ــ عَرَضَـتْه في لفـظٍ بهـيٍّ سـاحرٍ وجمـالِ إيقـاعٍ وحُسـنِ أداءِ
١٥ــ صـاغَتْه فكـرًا مُعْجِـزًا متألِّقًـا خـرَّتْ لديـه أكـابرُ الفُصَحَـاءِ
١٦ـ قـد صـارتِ الفُصحى يتيمًـا ضائعًـا مـا بـينَ أبنـاءٍ لهـا جُهَـلاَءِ
١٧ــ لا يعرِفُـون أصـولَها وجُذورَهـا أو يَغتَـذون برَوضِـها المِعْطَـاءِ
١٨ـ هَجَـرُوا الكِتـابَ فمـا صـفتْ أسماعُهـم واعتـاصَ نطـقُ حـروفِهم بَصَـفَاءِ

١٩ــ كم من خطيبٍ بينكم لحَّانَةٍ مُسِخَتْ لديه ملامحُ الأشياءِ
٢٠ــ رَفَعَ المضافَ ولم يُوَقِّرْ حقَّه أو جرَّ أحوالا بغير حياءِ
٢١ــ ولربَّما نصبَ الكلامَ جميعَه من غيرِ ما فرقٍ ولا استثناءِ
٢٢ـ ومحاضرٍ هَصَرَ الحديثَ مكسِّرًا ضِلْعَ الحروفِ ورَقْبَةَ الأسماءِ
٢٣ــ وإذا تحدَّث في الدروسِ معلِّمٌ هجرَ الأصيلَ إلى لُغَى الدَّهْمَاءِ
٢٤ــ وإذا يعلّم في المعاهد عالمٌ أُقْصِيتُ عن علمٍ له وقضاء
٢٥ـ زعموا سأعجز عن صياغة علمهم لو عاينوا الأصداف في أحشائي
٢٦ــ لو عاينوا ما فيّ من دُرٍّ وما في داخلي من جوهر وثراء
٢٧ـ لغة (الخواجا) أعمشت أبصارهم عما أخبئ من كنوز صفاء
٢٨ــ وإذا حَداثيٌّ تشاعر بينكم كان الكلام كرُقْية العجماء
٢٩ـ لا حسَّ فيه ولا معانيَ تُصْطفى يا ضيعة الأدباء والشعراء
٣٠ـ الشعر رمزي شوهوا قسماته وتشبهوا بمشاعر الغرباء
٣١ــ رَطَنُوا بغيري ذِلَّةً وخَساسةً هانت عليهم عِشْرتي وإخائي
٣٢ــ كم زاحَمَتْني أَلْسنٌ عُجميَّةٌ وعَدَتْ عليَّ رَطَانَةُ الهُجَنَاءِ
٣٣ـ ما بالُهم لا يعبؤونَ بحُرْمَتِي أو يَشفعونَ لغربتِي وشقائي؟!
٣٤ـ أصبحتُ أسألُ : أينَ أهلُ مودَّتي؟ أينَ الصِّحَابُ؟ وأينَ أهلُ رجائي؟!
٣٥ـ كم صُغْتُ من حَسَنٍ ومن أعجوبةٍ وخَطَرْتُ فوقَ حديقةٍ زهراءِ
٣٦ـ ورقصتُ في ثوبٍ بهيٍّ فاتنٍ كالغِيْدِ بين أناملِ البلغاءِ
٣٧.كم سُحْتُ في دنيا العلوم رشيقةً أختالُ بينَ أزاهرِ العلماءِ
٣٨ـ جابُوا بحورَ مدائني فمنحتُهمْ ما فيَّ من ذهبٍ ومِنْ لألاءِ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣٩ـ واليومَ ما مِنْ جاهلٍ متعـــــالمٍ لم يَشْـــــــدُ بعدُ معالمَ الإملاءِ

٤٠ــ إلاَّ ويُفتي في أُموري ضـــــلَّةً ويمــورُ مــن حقدٍ وطــولِ عِــداءِ

٤١ـ ويقولُ : إنـي قـد غَـدَوتُ عتيقـةً وأَضـــــيقُ عـن عِلْـمٍ وعـن أنبـاءِ

٤٢ـ إن اللسـانَ علـى النفـوس علامـةٌ وبـــــه تُقـاسُ أصـالةُ الأُصَـلاَءِ

٤٣ــ وبــه تُمَيَّــزُ أمّــةٌ مــن غيرِهــا وبــه افتِخَــارُ الفتيــةِ الشُّــرَفَاءِ

٤٤ـ مـا أمـةٌ يومـا تُضِـيع لسانَهـــا إلا تبيـــــع ذخـائـر الآبـاء

٤٥ــ كـم مـن لغـاتٍ في الـورى مَطموسـةٍ نَبُهَـتْ بفضـلِ رجالِهـا النُّجَبَـاءِ

٤٦ـ فبنُـو يهـود تمسَّكُوا بلســـــانِهِمْ أحْيَـــــوْهُ من موتٍ وطولِ عَفَاءِ

٤٧ــ فأقـاموا منـه في فلسـطين الـتي غصـــبوا بنـاءً طـاولوا ببنـاءِ

٤٨ــ وأرى بَنِـيَّ تنكَّـرُوا لجلـــــودِهم واستعـــبـدَتْهُم أَلْسُـنُ الـدُّخَلاءِ

٤٩ـ وتنكَّبُـوا ظَهـرَ الطَّريـق لأمِّهـــــم أفَبَعـــدَ ثـديِ الأمِّ من أثـداءِ؟

٥٠ــ لكـــنني . والله يحفـظ ضيعتـــي . سأظـــل أَشْمَـــخُ في ذُرا العليـــاء

٥١ــ فكتـــاب رب العـــالمين يضمنـــي وتكفـــــلت آياتـــه ببـــقائي

٥٢ـ وأنـا لسـان المسلميـن جميعهـم ولســان أهـلِ الجنـة الفضـلاء[1]

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) منتدى مجمع اللغة العربية ــ بمكة ــ على الشبكة العالمية ــ قصيدة (العربية تشكو حظها بين أبنائها) للدكتور والشاعر وليد قصاب ، ضمن برنامج إحدى مسابقات المنتدى ــ آخر مطالعة بتاريخ ١٤/٦/٢٠٢٠م على الرابط التالي :
http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=6613/

وبمطالعة القصيدة في صورتيها السابقتين يتبين ما يلي :

- نَصُّ القصيدة (الأول ــ أ) مكون من (٣٨) ثمانية وثلاثين بيتا ، وهو المنشور في ديوان الشاعر (فارس الأحلام القديمة ، ط ــ دار الثقافة ، الدوحة : ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ، ومرفوع على موقعه في شبكة الألوكة الإلكترونية بتاريخ ٢٠٠٦/١٠/٣٠م.

- نَصُّ القصيدة (الآخر ــ ب) مكون من (٥٢) اثنين وخمسين بيتا ، ومرفوع على منتدى مجمع اللغة العربية ــ بمكة ــ على الشبكة العالمية بتاريخ ٢٠١٤/٣/١١م.

- هذه الأبيات التي زيدت على (النص الأول) من خلال (النص الآخر) ، وعددها (١٤) أربعة عشر بيتا ، أضافها الشاعر خلال تلك الفترة الزمنية بين ظهور النصين ، فضلا عن بعض التغييرات التي أحدثها في شيء من الألفاظ والأساليب ، ولعله ارتأى أنها ستضيف إلى القصيدة شكلا ومضمونا ، ومن ثم سنعتمد على (النَّصِّ الآخر ــ ب) في دراسة بناء هذه القصيدة فكريا وفنيا ، وذلك في السطور القادمة بمشيئة الله تعالى.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

البناء الفكري في القصيدة

- **جو النص وأفكاره** :

واجهت لغتنا الفصحى في العصر الحديث حربا شرسة ، أشعل أوارها المحتلون أقطار العروبة والإسلام، ونفث سمومها أعداؤها من المستشرقين، وتبعهم بعض المنتسبين إلى العربية سذاجة أو مكرا من خلال الدعوات الهدَّامة ، كاستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية في الكتابة تارة ، وإحلال العامية ، واللهجات المحلية ، واللغات القديمة في كل بلد مكان الفصحى تارة ثانية ، وتغليب لغة المحتل الأجنبية ، ورفع شأنها ، وجعلها اللغة الأولى في مدارس العلم ومعاهده ، وفي الدواوين الرسمية والشركات الخاصة ، وإزاحة العربية أساسا تارة أخرى ؛ بدعوى صعوبتها وتعقيدها ، وتخلفها وعجزها عن مسايرة ركْب الحضارة الحديثة ومعطياتها .

وكل هذه الدعوات الزائفة ، والدعاوى الباطلة ليس لها دافع سوى الحقد على اللغة العربية المحفوظة بالقرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية الأول ، فكان الهدف الخبيث المتواري خلف تلك الحرب الضروس هو إضعاف الفصحى ، وهدم قيمها ومفاهيمها ؛ توطئة للقضاء على القرآن الكريم ، ومن ثم الإسلام بعد تشتيت شمل الأمة العربية والإسلامية وتمزيقها ، وقطْع صلتها بتراثها العربي والإسلامي التليد ، إما دفعة واحدة إن أمكن ، وإما بالتدريج إذا استعصى ذلك .

وقد هبَّ العلماء ، وانتفض الكُتَّاب ؛ ذيادا عن حياض العربية الفصحى، كاشفين زيف تلك الدعوات وأهدافها المسمومة . (١)

كما آزرهم في ذلك الشعراء؛ إذ كان في طليعتهم شاعر النيل حافظ إبراهيم الذي نظم تائيته المشهورة على لسان العربية (٢) ردّا على تلك الدعوات والمزاعم الباطلة، ومطلعها قوله: ــ من الطويل ــ

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حَصاتي ونـاديتُ قومي فاحتسبتُ حياتـي

ومنهم علي الجارم الذي شارك في المنافحة عن العربية الفصحى بأكثر من قصيدة ، مثل نونيته (٣) التي يستهلها بقوله : ــ من الخفيف ــ

يا ابنةَ السَّابِقينَ منْ قَحْطـانِ وَتُراثَ الأمجادِ مِنْ عَدْنـانِ

أنتِ علَّمْتِني البيانَ فمـا لـي كلّما لُحْتِ حارفيكِ بياني ؟

وبائيته (٤) التي مطلعها قوله : ــ من البسيط ــ

ماذا طحا بكَ يا صنَّاجة الأدبِ هلَّا شَدَوْتَ بأَمْدَاحِ ابْنَةِ العربِ ؟

---

(١) ينظر في تفصيل ذلك : الفصحى لغة القرآن ــ أنور الجندي ــ ص ١٠٣ وما بعدها ــ دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ــ بيروت ــ لبنان ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م . وكذا : أزمة العصر ــ محمد محمد حسين ــ ص ١٤٦ وما بعدها ــ دار عكاظ للطباعة والنشر ــ المملكة العربية السعودية ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م . وأيضا : فقه اللغة ــ مفهومه ــ موضوعاته ــ قضاياه ــ محمد بن إبراهيم الحمد ــ ص ٤٤٥ وما بعدها ــ الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥ م ــ دار ابن خزيمة ــ المملكة العربية السعودية .

(٢) ديوان حافظ إبراهيم ــ ضبط وشرح أحمد أمين وآخرين ــ ص ٢٥٣ : ٢٥٥ ــ الطبعة الثالثة ١٩٨٧ م ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٣) ديوان علي الجارم ــ ص ٧٠ : ٧٦ ــ الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ ــ ١٩٩٠ م ــ دار الشروق ــ مصر .

(٤) ديوان علي الجارم ــ ص ٣٢٧ : ٣٣٥ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن هؤلاء الشعراء الذين سارعوا إلى حمل لواء الدفاع عن الفصحى مصطفى صادق الرافعي في بائيته [١] التي يفتتحها بقوله : ــ من البسيط ــ

أمٌ يكيد لها من نسلها العقبُ ولا نقيصة إلا ما جنى النسبُ

كانت لهم سبباً في كل مكرمة وهم لنكبتها من دهرها سببُ

ومنهم أيضا خليل مطران في قصيدته (عتْب اللغة العربية على أهلها) [٢] ... يقول في افتتاحيتها : ــ من الوافر ــ

سَمِعْتُ بِأُذْنِ قَلْبِي صَوْتَ عتْبٍ لَهُ رقْرَاقُ دَمْعٍ مُسْتَهَلِّ

تَقُولُ لأَهْلِهَا الفصْحَى : أَعَدْلٌ لِرَبِّكُمُ اغْتِرَابِي بَيْنَ أَهْلي ؟

وهكذا تبارى شعراء الضاد دفاعا عنها في عقود القرن العشرين المتوالية حتى وصلنا إلى شاعر إسلامي معاصر انضم إلى كتيبة المعتزين بلغتهم ، الغيورين عليها ، المنافحين عنها ، هو الدكتور وليد قصاب ، الذي أبرز من خلال قصيدته الهمزية ــ مدار هذا البحث ــ فضْل الفصحى وشرفها ، ونبه الغافلين من أبنائها عن قيمتها ومكانتها ، ويمكننا ــ في ضوء ذلك ــ عرْض البناء الفكري في القصيدة من خلال الأفكار التالية :

١ ــ أنين اللغة العربية ، وشكواها عقوق أبنائها.

---

(١) ديوان الرافعي ــ نظم : مصطفى صادق الرافعي ــ شرح : محمد كامل الرافعي ــ الجزء الثاني ــ ص ١٤ : ١٧ ــ مطبعة الجامعة بالإسكندرية ١٣٢٢هـ .

(٢) خليل مطران ــ الأعمال الشعرية الكاملة ــ جمع وترتيب ومراجعة د/أحمد درويش ــ ص ١١٢٨ : ١١٣٠ ــ الطبعة الأولى ٢٠١٠ م ــ مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ــ الكويت .

٢ ــ فخر العربية ، وتشريفها بالقرآن الكريم .

٣ ــ ضياع الفصحى بجهل أبنائها ، وأمارات ذلك .

٤ ــ فضل العربية عرفه القدماء ، وجحد به بعض المحدثين .

٥ ــ مقومات حفظ اللغة وتراثها .

٦ ــ ثقة العربية ، وعزتها وشموخها .

ومن خلال هذه الأفكار ستعرض الدراسة مضمون القصيدة في السطور التالية .

****

- **الفكرة الأولى** : **أنين اللغة العربية** ، **وشكواها عقوق أبنائها**.(١ ـ ٩)

استهل الشاعر وليد قصاب همزيته ببيان مدى ما حلَّ بالعربية الفصحى من بلاء عظيم ، مما جعلها تئن ، وتتضرع شاكية إلى الله ﷻ ، فقال على لسانها :

١. أشكُو إلى ربي عظيمَ بلائي ... وتَوَثُّبَ الحُسَّادِ والأعداءِ
٢. وأرى الحِرَابَ تجمَّعَتْ لتنُوشَنِي ... وتَعِيثَ في دَوْحِي وفي أفنائي [(١)]

---

(١) تنوشني : تتناولني ، من ناشه بيده ينوشه نوشا ، وقد تناوش القوم في القتال : إذا تناول بعضهم بعضا بالرماح . ينظر : لسان العرب – ابن منظور – تحقيق : عبد الله علي الكبير ــ محمد أحمد حسب الله ــ هاشم محمد شاذلي ــ سيد رمضان أحمد ــ طبعة : دار المعارف – مصر د.ت ، ص ٤٥٧٥ ، مادة " نوش " . دَوْحِي : الدَّوْح : مفرده الدَّوْحة ، وهي الشجرة العظيمة المتسعة من أي الشجر كانت . ينظر : اللسان ، ص ١٤٤٩ ، مادة " دوح " . أفنائي : الواحد فِنْوٌ ، من الفِنَاء ، وهو المتسع أمام الدار . ينظر : اللسان ، ص ٣٤٧٨ ، مادة " فنى " .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣. من كل فج ظاهروا في ذلتـــــي كثر الذين يسرهم إفنائي
٤. ويَعُقُّني منْ كنتُ أرجو نصرهـــم ووِدادَهم ، في الليلةِ الظَّلماءِ
٥. وأرى ازوِرارًا في وُجوهِ أحبتي وتنكُّبًا عن أيكَتي الخضراءِ [(١)]
٦. لكنَّ قلبي ليس يصدَعُه ســوى جَحْدِ الحبيبِ ، وجفوةِ الأبناءِ
٧. ربَّيْتُهُم في دَوحَتي ، أعطيْتُهـــم من جنَّتي ، وكسَوْتُهم بردَائـــي
٨. ومنَحْتُهم حُلَلَ الفَخَارِ قَشـــيبةً فَخرًا يجاوِزُ جَبهةَ الجَـــوْزَاءِ
٩. لكنَّهم لم يَدْفَعُوا عن حُرمَتـــي أو يُعْظِموا قدري وحَقَّ وفائي

فقد ساق الشاعر بلسان العربية الفصحى في صـــدر البيـــت الأول ــ (أشكو إلى ربي عظيم بلائي) ــ دعوى أو قضيةً ، ثم عضَّدها بعد ذلك بذكر أسبابها وحيثياتها ؛ إذ تمثلت تلك الدعوى أو القضية فـــي شـــكوى اللغـــة العربية وأنينها جراء ما نزل بها من بلاء عظيم ، وقد تمثلت أسباب ذلك في التربص بها ، والهجوم عليها من قبَل حاسديها وأعدائها من المستشرقين ، واجتماعهم على توجيه سهامهم وحرابهم نحوها ؛ بغية إذلالهـــا والقضـــاء عليها .

ولكن الأثخن جرحا ، والأشد إيلاما هو عقوق بعـــض أبنائهـــا مـــن المثقفين ، وغلظتهم عليها ، وميلهم عنها إلى غيرها ، وهم منْ كانت ترجو مؤازرتهم إياها في شدتها ؛ ومن ثم فقد انفطر قلـــب (الفصـــحى) بجحـــود أحبابها ، وجفوة أبنائها الذين تناسوا أنهم تربوا في أفياء دوحتها ، وتغافلوا عما وهبتهم من تعبيرات بديعة ، وتراكيب عجيبة ، وصور بليغة ســـامقة لا

(١) ازورارا : غلظة وحدة ، وعدولا عني وميلا وانحرافا . ينظـــر : اللســـان ، ص ١٨٨٧ ، مادة " زور " . تنكُّبًا : عدولا وميلا . ينظر : اللسان ، ص ٤٥٣٤ ، مادة " نكب " .

تطاولها في ذلك لغة من اللغات ، ومع كل هذا تنكر لهـا أولئـك الأبنـاء ، وكانوا غصة في حلقها ، بل طعنة في ظهرها ؛ فلـم يحفظـوا حرمتهـا ، أو يعرفوا قدرها ، أو يوفوها حقها .

- **الفكرة الثانية** : **فخر العربية** ، **وتشريفها بالقرآن الكريم** . (١٠ ـ ١٥)

وينطلق وليد قصاب مبينا فضل العربية وشرفها من خـلال الأبيـات التالية :

١٠. أنا أمُّهم ، أمُّ اللغاتِ جميعِهـا ... فضلٌ خُصِصْتُ به على النُّظَرَاءِ

١١. إني أنا الضادُ التي قد شُـرِّفَتْ ... وتفـرَّدَتْ بمحاسـنٍ وبهـاءِ

١٢. اللهُ عظَّمها فصاغَتْ وَحْيَـه ... بالمعجزاتِ وبالسَّنَا الوضَّـاء

١٣. نزل الكتاب بها فصارت وحدها ... قُدُسِيّةَ القَسَمـات والأسمـاء

١٤. عَرَضَتْه في لفظٍ بهيٍّ ساحـرٍ ... وجمالِ إيقاعٍ وحُسـنِ أداءِ

١٥. صاغَتْه فكرًا مُعْجِزًا متألِّقًـا ... خرَّتْ لديه أكابرُ الفُصَحَـاءِ

فالعربية الفصحى لسان العرب ، ومصدر فخـرهم ، تفـوق اللغـات جميعها فضلا ، وتعلوها منزلة وقدرا ؛ لغة الضاد التي تفردت وتشرفت بأن نزل بها القرآن الكريم كلام المولى جل جلاله ، والنور الذي أوحاه إلـى رسـوله صلى الله عليه وسلم ، فعرضته في لفظ بهي ساحر بأجمل إيقاع ، وأحسـن أداء ، كمـا صاغت معانيه ومضمونه ببلاغة معجزة خرّ أمامها فصحاء العرب الأقحاح ، وشهدوا لها ؛ مما أضفى عليها قداسة وجلالا دون سواها .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- **الفكرة الثالثة** : **ضياع الفصحى بجهل أبنائها، وأمارات ذلك**.(١٦ ـ ٣٣)

ثم يصف الشاعر حال الفصحى ، ومأساتها ومحنتها الشديدة بين أبنائها الجهلاء ، فيقول :

١٦.قد صارتِ الفُصحى يتيمًا ضائعًا ... ما بينَ أبناءٍ لها جُهَلاَءِ
١٧.لا يعرِفُون أصولَها وجُذورَها ... أو يَغتَذون برَوضِها المِعْطَاءِ
١٨.هَجَرُوا الكِتابَ فما صفتْ أسماعُهم ... واعتاصَ نطقُ حروفِهم بَصَفَاءِ (١)
١٩.كم من خطيبٍ بينكم لحَّانَةٍ ... مُسِخَتْ لديه ملامحُ الأشياءِ
٢٠.رَفَعَ المضافَ ولم يُوَقِّرْ حقَّه ... أو جرَّ أحوالا بغير حياءِ
٢١.ولربَّما نصبَ الكلامَ جميعَه ... من غيرِ ما فرقٍ ولا استثناءِ
٢٢.ومحاضرٍ هَصَرَ الحديثَ مكسِّرًا ... ضِلْعَ الحروفِ ورَقْبَةَ الأسماءِ (٢)
٢٣. وإذا تحدَّث في الدروسِ معلِّمٌ ... هجرَ الأصيلَ إلى لُغَى الدَّهْمَاءِ (٣)
٢٤.وإذا يعلّم في المعاهد عالم ... أُقْصِيتُ عن علمٍ له وقضاء
٢٥.زعموا سأعجز عن صياغة علمهم ... لو عاينوا الأصداف في أحشائي
٢٦.لو عاينوا ما فيّ من دُرٍّ وما ... في داخلي من جوهر وثراء

---

(١) الكتاب : يقصد القرآن الكريم ، ويؤيد ذلك ما جاء في البيت الثالث عشر . اعتاص : العَوَص : ضد الإمكان واليسر ، وقد اعتاص في المنطق : غمَّضه ، واعتاص عليه الأمر : التوى ، والمراد : صَعُب وغَمُض . ينظر : اللسان ، ص ٣١٧٠ ، مادة " عوص "

(٢) هَصَرَ : الهَصْر : الكسْر، وهَصَر الشيء : جبذه وأماله وثناه . ينظر : اللسان، ص ٤٦٦٩، مادة "هصر ".

(٣) لُغَى : أي لُغة وكلام . ينظر : اللسان ، ص ٤٠٥٠ ، مادة " لغو ". والدَّهْمَاءِ : جماعة الناس وكثرتهم ، والمراد : العوامّ أو العامَّة . ينظر : اللسان ، ص ١٤٤٥ ، مادة " دهم ".

٢٧. لغة (الخواجا) أعمشت أبصارهم ... عما أخبئ من كنوز صفاء

٢٨. وإذا حَداثيٌّ تشاعر بينكم ... كان الكلام كرُقْية العجماء (١)

٢٩. لا حسَّ فيه ولا معانيَ تُصْطفى ... يا ضيعة الأدباء والشعراء

٣٠. الشعر رمزِي شوهوا قسماته ... وتشبهوا بمشاعر الغرباء

٣١. رَطَنُوا بغيري ذِلَّةً وخَساسةً ... هانت عليهم عِشْرتي وإخائي (٢)

٣٢. كم زاحَمَتْني أَلْسنٌ عُجميَّةٌ ... وعَدَتْ عليَّ رَطَانَةُ الهُجَنَاءِ

٣٣. ما بالُهم لا يعبؤونَ بحُرْمَتِي ... أو يَشفعونَ لغربتِي وشقائي؟!

فالفصحى كاليتيم الضائع بين أبنائها الذين تعاموا عن فضلها ، وجهلوا أصولها وجذورها ، وهجروا كتاب الله الذي حفظها ، ومكَّن لقواعدها وفصاحتها ، فسقمت أسماعهم ، وضعفت سلائقهم ، وعجزوا عن استعمالها، والنطق بها.

ومن ثم فقد تجلى ذلك عند أَوْلَى الناس بها ؛ إذ كثيرا ما نجد خطيبا يلحن في كلامه ؛ فيرفع ما حقه الجر، أو يجر ما يستحق النصب، أو ينصب الكلام جميعه دون إعطاء الكلمات حقها من الإعراب جهلا بقواعد الفصحى.

---

(١) حداثيٌّ : من الحداثة ، وهي بالمعنى العام : تشير إلى الجدة ، ومواكبة العصر ، وفي النقد الأدبي : تتضمن معنى الإضافة ، والتفرد ، وتجاوز الأنماط القديمة في المضامين والأشكال والأساليب ، وغالبا ما تكون الحداثة نقيض كل ما هو تراثي . ينظر : المعجم المفصل في اللغة والأدب ــ تأليف : د/ إميل بديع يعقوب ــ د/ ميشال عاصي ــ ص ٥٦٥ ــ الطبعة الأولى ١٩٨٧م ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ لبنان .

(٢) رَطَنُوا : تكلموا باللغات الأعجمية ، والرّطانة بفتح الراء وكسرها : التكلم بالعَجَمية ، والكلام الذي لا يفهمه الجمهور ، والعرب تخص به غالبا كلام العجم . ينظر : اللسان ، ص ١٦٦٦ ، مادة " رطن ".

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومثله المحاضر الذي لا يعرف للحروف مخرجا ، ولا للأسماء إعرابا، وكذا المعلم الذي يهجر الفصحى إلى العامية في دروسه ، والعالم الذي يُقصيها عن علمه بين طلابه ، ومثله القاضي في قضائه ، فهؤلاء الأبناء وأمثالهم ــ بجهلهم معدن الفصحى النفيس ، وثراءها الواسع ــ اتهموها بالقصور والعجز عن صياغة علومهم ومعارفهم ؛ افتتانا باللغات الأجنبية التي أعيت أبصارهم بل أعمتها عن رؤية واستخراج كنوز لغتهم الدفينة .

وإذا كان هذا هو حال الفصحى عند كثير من أبنائها أرباب النثر ، فإنه لا يختلف كثيرا عنه عند فئة من الشعراء تمردوا على قواعد الفن ، وأصوله التراثية ، متخذين من ذريعة التجديد ستارا لضعفهم ، وجهلهم ، ومن ثم جاء كلامهم ــ الذي يدَّعون بهتانا أنه شعر ــ قوالب جافة ، مُشَوَّها بلا روح أو شعور أصيل لما يكتنفه من الغموض والإبهام حتى صار أشبه بطلاسم رقى ، وتمتمات مبهمة غير مفهومة .

وما زاد من حزن الفصحى هو نذالة بعض أبنائها وخِسَّتهم ، وتَنَكُّرهم لها ، وهوانها عليهم، وهجرهم إياها، وتعلقهم بسواها من اللغات الأعجمية التي زاحمتها، وعدت عليها بألفاظها وتعبيراتها في كلامهم، مما جعلها تتعجب وتئن تحت وطأة هذا الاعتداء من أبناء تشعر بينهم بالغربة والشقاء .

- **الفكرة الرابعة** : **فضل العربية عرفه القدماء ، وجحد به بعض المحدثين** . (٣٤ ـ ٤١)

ثم يصور الشاعر ــ على لسان الفصحى ــ ما كان من ود ومحبة ووفاء بينها وبين سلفنا من الأدباء والعلماء الذين وقفوا على عجائبها ودقائقها ، ثم جحود بعض المحدثين بذلك ، فيقول :

٣٤.أصبحتُ أسألُ : أين أهلُ مودَّتي؟ أين الصِّحَابُ؟ وأين أهلُ رجائي؟!
٣٥.كم صُفْتُ من حَسَنٍ ومن أعجوبةٍ وخَطَرْتُ فوقَ حديقةٍ زهراءِ
٣٦.ورقصتُ في ثوبٍ بهيٍّ فاتنٍ كالغِيْدِ بين أنامِلِ البلغاءِ
٣٧.كم سُحْتُ في دنيا العلوم رشيقةً أختالُ بينَ أزاهرِ العلماءِ
٣٨. جابُوا بحورَ مدائني فمنحتُهمْ ما فيَّ من ذهبٍ ومِنْ لُأْلَاءِ
٣٩.واليومَ ما مِنْ جاهلٍ متعالمٍ لم يَشْدُ بعدُ معالمَ الإملاءِ
٤٠.إلاَّ ويُفتي في أُموري ضَلَّةً ويمورُ من حقدٍ وطولِ عداءِ
٤١.ويقولُ : إني قد غَدَوتُ عتيقةً وأَضيقُ عن عِلْمٍ وعن أنباءِ

فالفصحى تتساءل ــ في حزن ــ عن أولئك الشرفاء الأصلاء من أبنائها الأدباء ، والعلماء في كل فنٍّ ، هؤلاء الذين أدركوا أسرارها ، وتلمسوا مواطن الحسن والجمال فيها ، وعرفوا فضلها ؛ فبادَلَتْهم ودّا بود ، ووفاء بوفاء ، ووهبتْهم كنوزها ، فصاغوا منها الأعاجيب البليغة ، والأساليب الرشيقة شعرا ونثرا .

وما زال هذا العطاء من جانب الفصحى مستمرا حتى وصلتْ إلى هذا العصر الذي ظهر فيه أعداؤها الجهلاء ، الحاقدون عليها ــ من أبنائها ومن غيرهم ــ فجحدوا بفضلها ، واتهموها بالتخلف والعجز عن مسايرة ركاب العلوم الحديثة .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- **الفكرة الخامسة** : **مقومات حفظ اللغة وتراثها** .(٤٢ ـ ٤٩)

ثم يوضح الشاعر على لسان اللغة العربية أهم مقومات حفظها ، ومن ثم حفظ تراثها فيقول :

٤٢ـ إن اللسانَ على النفوس علامةٌ ... وبه تُقاسُ أصالةُ الأُصَلاَءِ
٤٣ـ وبه تُمَيَّزُ أمّـةٌ من غيرِهـــا ... وبـه افتِخَارُ الفتيةِ الشُّرَفَاءِ

٤٤ـ ما أمةٌ يوما تُضِيع لســـانَهـا ... إلا تبيـــــع ذخـائـر الآبـاء
٤٥ـ كم من لغاتٍ في الورى مَطموسةٍ ... نَبُهَتْ بفضلِ رجالِها النُّجَبَاءِ
٤٦ـ فبنُو يهود تمسَّكُوا بلســانِهِمْ ... أحْيَوْهُ من مــوتٍ وطولِ عَفَاءِ
٤٧ـ فأقاموا منه في فلسـطين التي ... غصـــبوا بنـاءً طاولوا ببناءِ
٤٨ـ وأرى بَنِيَّ تنكَّرُوا لجــلودِهم ... واستعبــدَتْهُم أَلْسُنُ الدُّخَلاءِ
٤٩ـ وتنكَّبُوا ظَهرَ الطَّريق لأمِّهم ... أفَبَعْدَ ثدي الأمِّ من أثـداءِ؟

فلغة أية أمة يدل وجودها وقوتها على حال أبنائها ، فحيـاة اللغـات ورفعتها في أصالة وشرف أبنائها ، وتمسكهم وفخارهم بهـا ، وعنـايتهم بتراثها ، وحفظهم جميلها ، ومن ثم فلا تخفى لغات أحياها أبناؤها النجبـاء بعد أن طُمست ، وكادت تموت وتندثر ، كاللغة العبرية التـي تمسـك بهـا اليهود ، وأحيوها ، ورفعوا شأنها في وطن مغتصَب هو فلسطين العربيـة ، في الوقت الذي تئن فيه الفصحى من إهمال أبنائها ، وتنكرهم لها ولتراثها ، وتهميشها مع تقديس اللغات الأجنبية ، وتقديمها عليها مع أن هؤلاء الأبناء لو أنصفوا أُمَّهم ــ (الفصحى) ــ لأيقنوا أن وجودهم بوجودها ، وعـزهم في عزها ، وفي حفظ تراثها التليد .

- **الفكرة السادسة** : **ثقة العربية** ، **وعزتها وشموخها** .(٥٠ ـ ٥٢)

ويختم الشاعر قصيدته على لسان العربية بإبراز ثقتها في نفسها ، وعزتها وشموخها ، وأسباب ذلك ، فيقول :

٥٠. لكنني . والله يحفظ ضيعتي . سأظل أَشْمَخُ في ذُرا العلياء
٥١. فكتاب رب العالمين يضمني وتكفلت آياته ببقائي
٥٢. وأنا لسان المسلمين جميعهم ولسان أهلِ الجنة الفضلاء

فاللغة العربية ــ حتى وإن ضاعت بين هؤلاء الأبناء العاقين ــ فهي واثقة من شموخها ورفعتها مدى الدهر ؛ فالله سبحانه وتعالى ــ الذي أنزل بها كتابه العزيز وتكفل بحفظه ــ يحفظها ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾ [١] ، ومن ثم فقد استمدت منه العزة والبقاء والخلود ، كما أنها لغة عالمية للمسلمين جميعا في الدنيا ؛ إذ بها يتعبدون ، ويتقربون إلى ربهم ، وهي ــ أيضا ــ لسان أهل الجنة في الدار الآخرة .

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(١) سورة الحجر ، الآية رقم (٩) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني

البناء الفني في القصيدة

لقد عني نقادنا بالبناء الفني في القصيدة ، فدرسوا نسقها الخاص الذي تخضع له من ابتدائها إلى خاتمتها ، كما رصدوا سمات ألفاظها وأساليبها ، ومدى ملاءمتها معانيها ، وتشكيل صورها ، وكانت لهم رؤية واضحة تجاه إيقاعها الموسيقي ؛ لما له من قيمة كبرى في عملية الإمتاع والتأثير في المتلقي [١] ، وفي هذا الإطار ستكشف الدراسة عن ملامح البناء الفني في همزية وليد قصاب من خلال ما يلي .

أولا ـ القصيدة من العنوان إلى الختام :

أ ـ العنوان :

لا مشاحة في أن العنوان الجيد له ارتباط وثيق بمضمون نصه الأدبي، وأنه أحد مفاتيحه ، وأولى عتباته ، ويعد أيضا " اعتصارا للنص ، وإعلاما بفحواه ، حتى إذا ما قُرئ شفَّ عن الموضوع ، ودلَّ عليه رأسا " [٢] ، ومن ثم أضحى العنوان في النص الشعري الحديث إضافة جديدة لنسيج الإبداع الشعري ، وينبغي فيه أن يكون منبثقا من ذلك النص ، دالا عليه أو على بعض ما فيه ، بلا إغماض أو تعمية مطبقة ، وبذا يحدث الأثر الفني المنتظر منه إذا توافرت فيه مظاهر الإبداع [٣] .

---

(١) ينظر : نظرية الشعر في النقد العربي القديم ــ د/ عبد الفتاح عثمان ــ ص ٢١١ ــ مكتبة الشباب بالمنيرة ــ مصر ١٩٨١ م .

(٢) سيمياء العنوان ــ د/ بسام موسى قطوس ــ ص ٤٩ ــ الطبعة الأولى ٢٠٠١م ــ مكتبة كتانة ــ إربد ــ الأردن .

(٣) ينظر : مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي ــ د/ عبد الله بن سليم الرشيد ــ ص ١٨ ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م ــ نادي القصيم الأدبي ــ بريدة ــ المملكة العربية السعودية .

وبقــراءة همزية وليد قصاب في ديوانه (فارس الأحلام القديمة) ــ الصورة أ ــ يطالعنا عنوانها (العربية تشكو أبناءها) ، وعنــدما نشــرت القصيدة بعدئذ في منتدى مجمع اللغة العربيــة ــ بمكــة ــ علــى الشــبكة العالمية ، جاءت تحت عنوان (العربية تشكو حظها بين أبنائها) ــ الصورة ب محل الدراسة ــ ومن ثم يتبين اتفاق العنــوانين فـــي اغترافــهمـــا مــن معــين الصــورة الخياليــة (*) القائمــة علــى الاســتعــارة

المكنية ؛ إذ رأينا العربية الفصحى في العنــوان الأول إنســانا ، ذات حس وشعور ، تئن وتتألم وتشكو أبناءها بعد أن عقُّوها ، وتخلــوا عنهــا وجفوها .

وفي العنوان الآخر تماثل التصوير مع العنوان الأول وزيــادة ؛ فقــد ظهرت فيه الفصحى وقد اكتنفها الشعور بالألم والأنين والشكوى من بؤسها وشقائها ، وحظها التعيس ؛ بسبب وجودها بين أبناء لهــا ، لــم يعرفــوا منزلتها ، أو يقدروها قدرها .

وكلا العنوانين جاء أسلوبا خبريا معبرا عن التجربة الشعورية التــي مرَّ بها الشاعر ؛ حيث اعتصره فيها الحزن والألم لحال العربية الفصحى بعد أن تنكر لها بعض المنتمين إليها ، وقد بدا ذلك في ملامح البناء الفكري في هذه القصيدة .

وهكذا تجلت براعة شاعرنا في نحت عنوان قصيدته على هذا النحــو التصويري الذي عدّه النقد الحديث من أرقى أنواع العناوين ؛ لصلته الوثقى بلغة الشعر ، فالصورة الفنية هي الشعر ، ومن ثم احتفــى بهــا الشــعراء

(*) سيأتي الحديث عن التصوير الشعري تفصيلا في موضعه من هذا المبحث إن شاء الله تعالى .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العرب المعاصرون ، وزينوا بها كثيرا من عتبات نصوصهم ، فظهرت غاية في الروعة والإبداع والجمال [١].

وتجدر الإشارة إلى تأثر الشاعر وليد قصاب في عنونة هذه القصيدة ــ لا سيما في العنوان الأخير، وهو (العربية تشكو حظها بين أبنائها) ــ بشاعر النيل حافظ إبراهيم في تائيته ــ سالفة الذكر ــ التي جاءت تحت عنوان (العربية تنعي حظها بين أهلها) ، فما أشبه العنوانين في التركيب ، وانتقاء المفردات !! ، فكلاهما جاء جملة اسمية ، ذات دلالة خبرية ، والمبتدأ كلمة واحدة (العربية) ، والخبر جملة فعلية ، وقد اتفق العنوانان في مفردات (العربية ــ حظها ــ بين) ، واختلفا فقط في (تشكو / تنعي)، و(أبنائها / أهلها) ، ولا شك في قوة دلالة (النعي) في عنوان (حافظ) على المرارة والأسى ، والأنين والحسرة عن (الشكوى) في عنوان (وليد قصاب) ، كما أن (الأهل) تصويريا في عنوان (حافظ) أعم وأشمل في دلالتها على أن هذه المعاني المؤلمة التي حلَّت بالعربية تسبب فيها جميع من تنتمي إليهم ، وينتمون إليها ، دون فئة (الأبناء) فقط الذين انحسرت فيهم شكوى الفصحى وأنينها في عنوان (وليد قصاب) ، ومن ثم أرى أن عنوان (حافظ) جاء أقوى وأدق في دلالته على ابتئاس العربية الفصحى مع من تعيش بينهم ، ومع ذلك تتأكد كل تلك المعاني الآسية في حقها بإضافة (الأبناء ، والأهل) إلى الضمير العائد عليها ، وأنهم (الأبناء ، والأهل) هم ــ دون سواهم ــ من يجب عليهم التمسك بها ، والذود عنها ؛ لأنها منهم ، وهم منها.

---

(١) ينظر : مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي ــ د/ عبد الله بن سليم الرشيد ــ ص ٤٩ .

ب ـ المطلع :

وهو استهلال القصيدة ، وأول كلامها ، وعلى موسيقاه تُـنظم بقيـة أبياتها ، يدفع المتلقي إلى الإصغاء أو القراءة إذا كان جيـدا آسـرا ، كمـا يصيبه بالفتور ، ويحمله على الانصراف إذا كان ضعيفا فاترا ، ومن ثم عُني الشعراء بمطالع قصائدهم ، وصرفوا همهم إلى الإبداع فيها [١].

على أن مطلع القصيدة يكون جيدا كلما كان واضح الأسـلوب ، بَـيِّن المعنى ، عذب الموسيقى [٢] [*] ، صادرا عن ذوق صاف ، دالّا علـى مـا بُنيت عليه القصيدة ، مشعرا بغرضها وموضوعها ، وهو ما يسميه بعـض النقاد (براعة الاستهلال) [٣] ، وهذا ما يقف عليه القـارئ همزيـة وليـد قصاب من الوهلة الأولى ، ففي ديوانه (فارس الأحلام القديمة) ــ الصـورة (أ) للقصيدة ــ جاء مطلعها قوله:

أشكُـو الزمـانَ وقلَّةَ النُّصَـرَاءِ وتَوَثُّبَ الحُسَّـادِ والأعـداءِ

وفي الصورة (ب) محل الدراسة ، والتي نشرت بعد في منتدى مجمع اللغة العربية ــ بمكة ــ على الشبكة العالمية ، جاء مطلعها قوله :

أشكُـو إلـى ربي عظيمَ بلائي وتَوَثُّبَ الحُسَّـادِ والأعـداءِ

فالأسلوب ــ في مطلع القصيدة بصورتيها ــ سهل مألوف ، والمعنى واضح قريب ، ومعاني الشكوى والألم ، والحزن والأنـين الصـادرة عـن العربية الفصحى تفوح من أول لفظة فيهما (أشكو) ، وإن تفـرد الشـطر

---

(١) ينظر : أسس النقد الأدبي عند العرب ــ د/ أحمد أحمـد بـدوي ــ ص ٢٩٧ ــ الطبعـة الأولى ١٩٧٩م ــ دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

(*) سيأتي الحديث عن ذلك عند تناول الإيقاع الموسيقي في القصيدة بمشيئة الله تعالى .

(٣) ينظر : أسس النقد الأدبي عند العرب ــ د/ أحمد أحمد بدوي ــ ص ٣٠٠ ، ٣٠٦ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الأول (أشكُـــو الزمـــانَ وقلَّةَ النُّصَـــرَاءِ) في الصورة (أ) باشتماله على سببين لشكوى الفصحى هما (الزمان ، وقلة النصراء) ، فقد جاء الشـطر الثاني مشتركا بينهما ، مشتملا على سبب آخـر لشـكواها وأنينهـا هـو (تَوَثُّـبَ الحُسَّـادِ والأعـداءِ) .

وقد وفق الشاعر في تعديل الشطر الأول من مطلع الصورة الأخيـرة لقصيدته ــ وهي محل الدراسة ــ ليستهلها بقوله : (أشكُـو إلـى ربـي عظيـمَ بلائـي) ؛ فقد جاء هذا الأسلوب كقضية مجملة ، فصَّلها الشاعر بعد ذلك ، وفيه دلالة على فداحة الخطب ، وعظم البلاء الذي حلَّ بالفصحى، مما جعلها تئن وتشتكي إلى ربها سبحانه وتعالى علـى نحـو مـا صـوره مضمون القصيدة الذي جاء منبثقا من هذا المطلع بما يؤكد تمتعها بالوحـدة الموضوعية ، وهي إحدى سمات القصيدة العمودية في الشعر المعاصر .

وإذا كان هذا التغيير ــ وغيره أيضا في الهمزية ــ قد أظهر شخصية شاعرنا الأدبية التي جعلته ينظر في شعره ، ويعاود قراءته ، فيغير فيـه ، ويزيد عليه ، فقد أسفر كذلك عن شخصيته الإسلامية التي أبـت عليـه أن يستمر في ارتكاب مخالفة لفظية بالشكوى من الزمان في قوله : (أشكُـو الزمـانَ) بالصورة (أ) ، حتى وإن كانت لا ترقى لسب الدهر المنهي عنه ؛ ومن ثم عدَّل الأسلوب في الصورة (ب) ؛ لتكون الشكوى إلى الله سـبحانه بدلا من ذلك فقال : (أشكُـو إلـى ربي) ، إلـى جانـب تـأثره بـالمعجم الإسلامي ؛ إذ فيه من قول الله عز وجل على لسـان نبيـه يعقـوب عليـه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [١] ، وقوله (عظيم بلائي) فيه أيضا مـن

(١) سورة يوسف ، من الآية (٨٦) .

قول الله سبحانه:﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [١] ، وقول النبي ﷺ : (إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ) [٢] .

ج ـ حسن التخلص

إذا كان النقد القديم يعزو حسن تخلص الشاعر في قصيدته إلى انتقاله من معنى إلى معنى ، أو من غرض إلى آخر ، ثم عوْده إلى الأول ، وأخذه في غيره ، ثم رجوعه إلى ما كان فيه ، على أن يكون بعض الكلام آخذا برقاب بعض ، كأنما أُفرغ إفراغا [٣] ؛ وذلك بسبب تعدد أغراض القصيدة ، وتجول الشاعر خلالها في أكثر من موضوع ، فإن القصيدة المعاصرة في عمومها تدور حول موضوع واحد ، ومن ثم يمكن تطبيق معيار (حسن التخلص) نقديا بهذا المعنى على تنقل الشاعر بين أفكار قصيدته التي تنضوي تحت ذات الموضوع ، ولذا فمن يرجع إلى أفكار همزية وليد قصاب يدرك ـ دون عناء ـ مدى ما بينها من ترابط والتحام ، وتلاؤم وانسجام في فلك موضوع واحد ؛ فالقصيدة تعكس شكوى العربية الفصحى ، وأنينها من

---

(١) سورة البقرة ، من الآية (٤٩) .

(٢) سنن الترمذي ـ للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي ـ تعليق العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ـ ص ٥٤٠ ـ باب (ما جاء في الصبر على البلاء) ـ من حديث رقم : ٢٣٩٦ (حسن) ـ الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ـ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

(٣) ينظر : العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده ـ لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ـ تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ج ١ ـ ص ٢٣٧ ـ الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان. وينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ لضياء الدين بن الأثير ـ تقديم وتعليق د/ أحمد الحوفي ، د/ بدوي طبانة ـ القسم الثالث ـ ص ١٢١ ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة ـ القاهرة ـ د . ت .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

موقف أبنائها تجاهها ، وهذا يبدو من الفكرة الأولى التي صور فيها الشاعر أنين اللغة العربية ، وشكواها عقوق أبنائها في الأبيات (١ ــ ٩) ، ثم انتقل بعد ذلك إلى ما يدعو المنتسبين إلى العربية للفخر بها من خلال الفكرة الثانية التي جسد فيها فخر العربية ، وتشريفها بالقرآن الكريم في الأبيات (١٠ ــ ١٥) ، ثم تخلص إلى إماطة اللثام عن سبب ضياع الفصحى في موطنها، وعلامات ذلك من خلال الفكرة الثالثة في الأبيات (١٦ ــ ٣٣)، ثم عقد الشاعر في أبيات الفكرة الرابعة (٣٤ ــ ٤١) موازنة بين موقف القدماء الذين عرفوا فضل العربية ، وظهر ذلك في تراثهم ، وبين موقف أبنائها المحدثين الذين جحدوا فضلها ، واتهموها بالقصور والجمود، ثم خلص في الفكرة الخامسة إلى إبراز مقومات حفظ اللغة وتراثها في الأبيات (٤٢ ــ ٤٩) ، وأخيرا زلف الشاعر إلى فكرته الأخيرة كاشفا عن ثقة العربية الفصحى ، وعزتها وشموخها في الأبيات (٥٠ ــ ٥٢).

وهكذا يبدو ترابط أفكار القصيدة وأخذ بعضها برقاب بعض ، وأن الشاعر قد وفق في انتقاله وتخلصه من فكرة إلى أخرى محافظا على ما بين أجزاء قصيدته من لحمة وتماسك من البداية إلى النهاية .

د. ختام القصيدة :

هو " آخر ما يبقى في الأسماع ، وربما حُفظ من دون سائر الأبيات في غالب الأحوال ، فلا يحسن السكوت على غيره ، ومن ثم ينبغي أن يحسن فيه الشاعر غاية الإحسان " [(١)] .

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ــ لتقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي ــ شرح : عصام شعيتو ــ ج ٢ ــ ص ٤٩٣ بتصرف ــ الطبعة الأولى ١٩٨٧ م ــ دار ومكتبة الهلال ــ بيروت ــ لبنان .

وقد أجاد (وليد قصاب) ختام قصيدته ، وهو ما يعرف بـ (حسن المقطع) ، و(حسن الخاتمة)[١] ، وذلك بقوله على لسان الفصحى :

لكنني.والله يحفظ ضيعتي. سأظل أَشْمَخُ في ذُرا العلياء
فكتاب رب العالمين يضمني وتكفلت آياته ببقائي
وأنا لسان المسلمين جميعهم ولسان أهلِ الجنة الفضلاء

فالفصحى بعد أنينها وشكواها تستدرك في عزة وشموخ مبينة ثقتها بحفظ الله تعالى لها مهما واجهت من مؤامرات ومكائد ، فهي باقية محفوظة؛ لأنها لغة القرآن الكريم الذي تكفل رب العالمين بحفظه ، وأنها لغة المسلمين جميعا في الدنيا ، بها يتعبدون ، ويتقربون إلى ربهم ، وهي ــ أيضا ــ لسان أهل الجنة في الآخرة .

وجمال هذا المقطع يتمثل في كشفه عن إيمان الشاعر الصادق ، وكل متيم بالفصحى ، وفيٍّ لها بمكانتها العالية بين لغات البشر ، وأنها ستظل شامخة صامدة في مواجهة التحديات ، وأن النصر لها رغم أنف الحاقدين عليها ، والكارهين لها ، فالله تعالى بحفظه دينه وكتابه يحفظها في الدنيا والآخرة ، وهو ما لا تتمتع به لغة سواها ؛ ومن ثم كان مناسبًا مجيء هذا المقطع ختامًا للقصيدة .

ثانيا ـ التعبير الشعري :

تظل التجربة الشعورية حبيسة وجدان الشاعر وعاطفته ، لا ترى النور إلا إذا عبر عنها من خلال اللغة ــ بألفاظها وأساليبها ــ ونقلها إلى الصورة التي تمكن المتلقي من مشاركته هذه التجربة ، ومن ثم تكمن قيمة

(١) ينظر : السابق ذاته ، والصفحة نفسها .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الألفاظ والأساليب في بناء التجربة الشعرية ، والتعبير عن صاحبها ، وفيما يلي سنقف ــ بمشيئة الله تعالى ــ على سمات الألفاظ والأساليب في همزية وليد قصاب على النحو التالي .

ـ الألفاظ :

تعد اللفظة أو الكلمة " أداة الأديب في نقل أفكاره ، ورسم صوره ، وبناء موسيقاه ، وهي الوعاء الذى يصب فيه الأديب ما تجيش به عاطفته من معان وخواطر ، وأحاسيس ومشاعر ... ومن هذه الكلمة تتكون العبارة ، وتتكون الصورة الأدبية ، ويتخلق أسلوب الأديب الذى يعرف به ، وينسب إليه ، ومن الكلمة تتكون الموسيقى اللفظية فيما نقرؤه من شعر موزون ، وفيما نتلوه من جمل لها توقيع منغوم " (١) .

والأديب البارع " هو الذى يساعده قاموسه اللغوي على دقة المنطق ، والدلالة المسددة ، والتوصيل الإيجابي " (٢) ؛ حيث يضع نصب عينيه ما وقف عليه نقادنا القدامى من أن يختار لكل معنى من معانيه " اللفظ الذى هو أخص به ، وأكشف عنه ، وأتم له ، وأحرى بأن يكسبه نبلا ، ويظهر فيه مزية" (٣) .

---

(١) في ميزان النقد الأدبي ــ د/ طه مصطفى أبو كريشة ــ ص٢١ ــ مطبعة المليجي ــ الجيزة ــ القاهرة ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م .

(٢) النقد الأدبي الحديث ــ أصوله واتجاهاته ــ د/ أحمد كمال زكى ــ ص٨٢ ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م .

(٣) دلائل الإعجاز ــ للإمام عبد القاهر الجرجاني ــ تعليق/ محمود محمد شاكر ــ ص٤٣ ــ مطبعة المدني ــ نشر مكتبة الخانجي ــ القاهرة ١٩٨٤م .

ومن ثم فإن الألفاظ التي يجسد بها الشاعر عاطفته ينبغي أن تكون متناغمة مع شعوره وإحساسه ، ملائمة لأفكاره ومعانيه التي رام إيصالها إلى المتلقي .

وبقراءة همزية شاعرنا بتأنٍ يتبين حرصه على اختيار الألفاظ المناسبة ؛ فجاءت معبرة عن المعاني التي سيقت لها ، متسمة بالدقة والوضوح ، والسهولة والألفة ، فلا تحتاج في فهمها إلى روية أو طول تأمل ، مع مجافاتها التكلف والتقعر من جهة ، والابتذال والإسفاف غالبا من جهة أخرى.

ففي مجمل أفكار القصيدة تطالعنا الألفاظ سهلة مألوفة معبرة عن المعنى المقصود ، فعند تصوير الشاعر (أنين اللغة العربية ، وشكواها عقوق أبنائها) نرى كثيرا من الألفاظ القريبة التي تبرز المرارة والألم ، والأنين والشكوى مما تعانيه الفصحى من حاسديها وأعدائها بل حتى من عقوق أبنائها ، وذلك مثل : (أشكو ــ عظيم بلائي ــ توثُّب ــ الحُسَّاد ــ الأعداء ــ الحِراب ــ تنوشني ــ تعيث ــ ذلتي ــ إفنائي ــ يعقُّني ــ الليلة الظلماء ــ تنكُّبا ــ يصْدَعُه ــ جحْد الحبيب ــ قسوة الأبناء ــ منحتُهم ــ ربيتُهم ــ أعطيتُهم ــ كسوتُهم) ، في قوله :

أشكُو إلى ربي عظيمَ بلائي ... وتَوَثُّبَ الحُسَّادِ والأعداءِ
وأرى الحِرَابَ تجمَّعَتْ لتنُوشَنِي ... وتَعِيثَ في دَوْحِي وفي أفنائي
من كل فج ظاهروا في ذلتي ... كثر الذين يسرهم إفنائي
ويَعُقُّني منْ كنتُ أرجو نصرهم ... ووِدادَهم ، في الليلةِ الظَّلماءِ
وأرى ازوِراراً في وُجوهِ أحبتي ... وتنكُّبًا عن أيكَتي الخضراءِ
لكنَّ قلبي ليس يصدَعُه سوى ... جَحْدِ الحبيبِ ، وجفوةِ الأبناءِ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ربَّيْتُهُم في دَوحَتي ، أعطيْتُهم ... من جنَّتي ، وكسَوْتُهم بردَائي
ومنَحْتُهم حُلَلَ الفَخَارِ قَشيبةً ... فَخرًا يجاوِزُ جَبهةَ الجَوْزَاءِ
لكنَّهم لم يَدْفَعُوا عن حُرمَتي ... أو يُعْظِموا قدري وحَقَّ وفائي

واستخدام صيغة المضارع في (أشكو ــ أرى ــ تنوشني ــ تعيث ــ يعقُّني ــ يصْدَعُه) يدل على تجدد هذه الأحداث واستمرارها، ويوحي بالواقع المؤلم الذي تعيشه الفصحى ، وما تصارعه من أعدائها وبعض أبنائها .

كما أن استخدام صيغة الماضي في (ظاهروا ــ كثُر ــ كنتُ ــ ربَّيْتُهُم ــ أعطيْتُهم ــ وكسَوْتُهم ــ ومنَحْتُهم ــ لم يَدْفَعُوا ــ أو يُعْظِموا) يدل على ثبوت هذه الأحداث ، وتحققها من جانب أعداء العربية وأبنائها نحوها من جهة ، ومن جانبها نحو أبنائها من جهة أخرى .

وإذا انتقلنا إلى الفكرة الثانية ، وهي (فخر العربية ، وتشريفها بالقرآن الكريم) نجد حشدا من الألفاظ التي تعكس افتخار الفصحى على غيرها ، وتشرفها بكونها لغة القرآن الكريم ، وذلك مثل : (أمُّهم ــ أمُّ اللغاتِ ــ فضلٌ ــ خُصِصْتُ ــ شُرِّفْتْ ــ وتفرَّدَتْ ــ محاسنٍ ــ بهاءِ ــ عظَّمها ــ بالمعجزاتِ ــ بالسَّنَا الوضَّاءِ ــ قُدُسِيّةَ القَسَمات ــ عَرَضَتْه ــ لفظٍ بهيٍّ ساحرٍ ــ جمالِ إيقاعٍ ــ حُسنِ أداءِ ــ صاغَتْه ــ فكرًا مُعْجِزًا متألِّقًا ــ خرَّتْ ــ أكابرُ الفُصَحَاءِ) ، في قوله :

أنا أمُّهم ، أمُّ اللغاتِ جميعِها ... فضلٌ خُصِصْتُ به على النُّظَرَاءِ
إني أنا الضادُ التي قد شُرِّفَتْ ... وتفرَّدَتْ بمحاسنٍ وبهاءِ
اللهُ عظَّمها فصاغَتْ وَحْيَه ... بالمعجزاتِ وبالسَّنَا الوضَّاءِ
نزل الكتاب بها فصارت وحدها ... قُدُسِيّةَ القَسَمات والأسماء
عَرَضَتْه في لفظٍ بهيٍّ ساحرٍ ... وجمالِ إيقاعٍ وحُسنِ أداءِ

صاغَتْه فكرًا مُعْجِـزًا متألِّقًا خـــرَّتْ لديه أكابـرُ الفُصَحَـاءِ

ولا تخفى دلالة الأفعال الماضية (خُصِصْتُ ــ شُرِّفَـتْ ــ تفـرَّدَتْ ــ عظَّمها ــ صاغَتْ ــ عَرَضَتْه ــ صاغَتْه) على ثبوت هذه المعاني وتحققها ووقوعها ؛ مما يسوغ الفخر للعربية على سائر اللغات .

ولما انتقل الشاعر إلى الحديث عن ضـياع الفصـحى بـين أبنائهـا الجهلاء بأصولها ، وكنوزها الدفينة ، وبيان أمارات ذلك ، لجأ إلى المفردات الي ترسم هذا الحال ، مثل : (يتيمًا ضائعًـا ــ أبناءٍ جُهَـلاَءِ ــ لا يعرِفُون ــ أصولها ــ هَجَرُوا ــ فما صفتْ ــ خطيبٍ لحَّانَـــةٍ ــ مُسِـخَتْ ــ رَفَـعَ المضافَ ــ جرَّ أحوالا ــ مكسِّرًا ــ ضِلْعَ الحروفِ ــ هجرَ الأصيلَ ــ لُغَـى الدَّهْمَـاءِ ــ أُقْصِيتُ ــ زعموا ــ سأعجز ــ لو عاينوا ــ الأصـداف فـي أحشائي ــ دُرٍّ ــ جوهر ــ ثراء ــ أعمشـت أبصـارهم ــ أخبـئ ــ كنـوز صفـاء ــ تشاعر ــ رُقْـية العجماء ــ لا حسَّ ــ لا معانـيَ ــ يا ضيعـة الأدباء ــ شوَّهوا ــ مشاعر الغربـاء ــ بغيـري ــ ذِلَّـةً ــ خَساسةً ــ رَطَانَةُ الهُجَنَاءِ ــ لا يعبؤونَ ــ حُرْمَتِي ــ غربتِي ــ شقائي) ، في قوله :

قد صارتِ الفُصحى يتيمًا ضـائعًا ما بينَ أبنـاءٍ لهـا جُهَلاَءِ
لا يعرِفُون أصولَها وجُـذورَهـا أو يَغتَذون برَوضِـها المِعْطَـاءِ
هَجَرُوا الكِتابَ فما صفتْ أسماعُهم واعتاصَ نطقُ حروفِهم بَصَفَاءِ
كم من خطيبٍ بينـكم لحَّـانَةٍ مُسِخَتْ لديه ملامحُ الأشيـاءِ
رَفَعَ المضـافَ ولم يُوَقِّرْ حقَّه أو جرَّ أحوالا بغير حيـاءِ
ولربَّما نصبَ الكـلامَ جميعَه من غيرِ ما فرقٍ ولا استثنـاءِ
ومحاضرٍ هَصَرَ الحديثَ مكسِّـرًا ضِلْعَ الحروفِ ورَقْبَةَ الأسـماءِ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وإذا تحـــدَّث في الدروسِ معلِّمٌ هجرَ الأصيلَ إلى لُغَى الدَّهْمَاءِ
وإذا يعلّم فـــي المعـاهد عالـم أُقْصِيتُ عن علمٍ له وقضـــاء
زعموا سأعجز عن صياغة علمهم لو عاينوا الأصداف في أحشائي
لو عاينوا ما فـــــيّ من دُرٍّ وما في داخلي من جوهر وثـــراء
لغة (الخواجا) أعمشت أبصارهم عما أخبئ من كنـوز صفـــاء
وإذا حَداثيٌّ تشاعر بينـــكم كان الكلام كرُقْية العجمـاء
لا حسَّ فيه ولا معانيَ تُصْطفـى يا ضيعة الأدباء والشعـــراء
الشعر رمزِي شوهوا قســماته وتشبهوا بمشاعر الغربـــاء
رَطَنُوا بغيري ذِلَّةً وخَســـاسةً هانت عليهم عِشْرتي وإخائي
كم زاحَمَتْني أَلْسنٌ عُجميَّـــةٌ وعَدَتْ عليَّ رَطَانَةُ الهُجَنَاءِ
ما بالُهم لا يعبؤونَ بحُرْمَتِـــي أويَشفعونَ لغربتِي وشـقائي؟!

وفي حديث (قصاب) عن إقرار القدماء بفضل العربية ، وودِّهم معها ، وصحبتهم لها بينما جحد بذلك بعض أبنائهـا اليـوم ، اسـتخدم الألفـاظ الواضحة الدلالة على هذه المعاني ، وذلك مثل: (أهلُ مودَّتي ــ الصِّحَاب ــ أهلُ رجائي ــ كم صُغْتُ ــ من حَسَنٍ ــ من أعجوبةٍ ــ خَطَـرْتُ ــ فـوقَ حديقةٍ زهراءِ ــ رقصتُ ــ ثوبٍ بهيٍّ فاتنٍ ــ كالغِيْدِ ــ أنامِلِ البلغاءِ ــ كـم سُحْتُ ــ دنيا العلوم ــ رشيقةً ــ أختالُ ــ أزاهرِ العلماءِ ــ جابُوا ــ بحورَ مدائني ــ فمنحتُهمْ ــ ذهب ــ لأْلاَءِ ــ جاهلٍ متعالمٍ ــ لم يَشْـدُ ــ معـالمَ الإملاءِ ــ إلاَّ ويُفتي ــ ضَلَّةً ــ يمورُ ــ من حقدٍ ــ طولِ عِداءِ ــ قد غَدَوتُ ــ عتيقةً ــ أَضيقُ ــ عن عِلْمٍ ــ عن أنباءِ) ، في قوله :

أصبحتُ أسألُ : أين أهلُ مودَّتي؟ أين الصِّحَابُ؟ وأين أهلُ رجائي ؟!
كم صُغْتُ من حَسَنٍ ومن أعجوبةٍ وخَطَرْتُ فوقَ حديقةٍ زهـــراءِ

ورقصتُ في ثوبٍ بهيٍّ فـــاتنٍ ... كالغِيْدِ بين أنامِلِ البلغـــاءِ
كم سُحْتُ في دنيا العلوم رشيقةً ... أختالُ بينَ أزاهرِ العلمـــاءِ
جابُوا بحورَ مدائني فمنحتُهـــمْ ... ما فيَّ من ذهبٍ ومِـــنْ لأْلاَءِ
واليومَ ما مِنْ جاهلٍ متعـــالمٍ ... لم يَشْدُ بعدُ معـالمَ الإملاءِ
إلاَّ ويُفتي في أُموري ضَـــــلَّةً ... ويمورُ من حقدٍ وطولِ عِداءِ
ويقولُ : إني قد غَدَوتُ عتيقـةً ... وأَضيقُ عن عِلْمٍ وعـن أنباءِ

وعندما عمد الشاعر إلى بيان ما يجب على أبناء العربية ؛ لحفظهـا وحماية تراثها ، نراه قد استخدم الألفاظ التي تثير فيهم الحمية والنخوة تجاه لسانهم ، وذخائر آبائهم ، بل إن شئت فقل : عربيتهم و عروبتهم ، مثـل : (أصالةُ الأُصَلاَءِ ــ الفتيةِ الشُّرَفَاءِ ــ تُضِيع ــ تبيـع ــ ذخـائـر الآباء ــ رجالِها النُّجَبَاءِ ــ بنُو يهود ــ تمسَّكُوا ــ أحْيَوْهُ من موتٍ ــ طولِ عَفَاءِ ــ فلسطين ــ غصبوا ــ تنكَّرُوا ــ استعبـدَتْهُم ــ أَلْسُنُ الدُّخَلاءِ ــ وتنكَّبُوا ــ لأمِّهم) ، في قوله :

إن اللسانَ على النفوس علامـةٌ ... وبه تُقاسُ أصالةُ الأُصَـلاَءِ
وبه تُمَيَّزُ أمّـةٌ من غيرِهـــا ... وبـه افتِخَارُ الفتيةِ الشُّرَفَاءِ
ما أمةٌ يوما تُضِيع لسانَهـــا ... إلا تبيع ذخـائـــر الآبـاء
كم من لغاتٍ في الورى مَطموسةٍ ... نَبُهَتْ بفضلِ رجالِها النُّجَبَاءِ
فبنُو يهود تمسَّكُوا بلســـانِهِمْ ... أحْيَوْهُ من موتٍ وطولِ عَفَـاءِ
فأقاموا منه في فلسطين التـي ... غصبوا بناءً طاولوا ببنـــاءِ
وأرى بَنِيَّ تنكَّرُوا لجلودهـــم ... واستعبدَتْهُم أَلْسُنُ الدُّخَلاءِ
وتنكَّبُوا ظَهرَ الطَّريق لأمِّهـم ... أفَبَعْدَ ثَدي الأمِّ من أثْداءِ؟

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي نهاية القصيدة يعبر الشاعر عن عزة وشموخ الفصحى ، وثقتها بحفظ الله سبحانه وتعالى لها ، فجاءت الألفاظ معبرة عن هذه المعاني ، مثل : (يحفظ ــ أَشْمَخُ ــ ذُرا العلياء ــ كتاب رب العالمين ــ يضمني ــ بقائي ــ لسان المسلمين جميعهم ــ لسان أهلِ الجنـــة الفضلاء) ، في قوله :

لكنني.والله يحفـــظ ضيعتي. سأظل أَشْمَخُ في ذُرا العليـاء
فكتـــــاب رب العالمين يضمني وتكفلت آياتـه ببقـــائي
وأنـا لسـان المسلمين جميعـهم ولسـان أهلِ الجنة الفضلاء

وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر قد نقَّح وبدَّل بعـض المفـردات فـي الصورة الأخيرة للقصيدة ــ محل البحث ــ عن صورتها في الديوان ، ومن ذلك ما جاء في المطلع الذي سبق الحديث عنه ، ومنه أيضا كلمة (أفنائي)، وأصلها (أفيائي) بمعنى ظلالي ، في قوله :

وأرى الحِرَابَ تجمَّعَتْ لتنُوشَنِي وتَعِيْثَ في دَوحِيْ وفي أفنائـي

وهو تعديل موفق ؛ لما فيه من دلالة على معنى الاتساع المناسب في مقام التعبير عن شدة هجوم الحساد والأعداء على الفصحى في كل نواحيها على النحو الذي جعلها تئن وتشكو إلى ربها .

ومنه ــ أيضا ــ كلمة (نصرهم) ، وأصلها (حبهم) ، في قوله :

وَيَعُقُّني منْ كنتُ أرجونصرهم ووِدادَهم ، في الليلةِ الظَّلماءِ

وهو ــ أيضا ــ تعديل دقيق ؛ فالفصحى في الحـرب عليهـا ترجـو مناصرة أبنائها أهل اللغة والأدب بل والسياسة جميعا لا أن يكون نفر مـنهم طعنة في ظهرها ، أما الحب ــ والأصل فيه أنه فطري ــ فلن ينفع وحده في تلك الحرب التي تتطلب وحدة صف الجنود المؤهلين من أبناء الفصحى للذب عن حياضها .

ومنه ــ أيضا ــ كلمة (جفوة) التي تتضمن معاني النفور والتباعد ، والهجر وغلظة المعاشرة ، بديلا عن (قسوة) بمعنى الشدة والغلظة والصلابة فقط ، في قوله :

لكنَّ قلبي ليس يصدَعُه سوى جَحْدِ الحبيبِ ، وجفوةِ الأبناءِ

ومنه ــ أيضا ــ لفظتا (غربة ، شقاء) بدلا من (ذلة ، عناء) ، في قوله :

ما بالُهم لا يعبؤونَ بجُرْمَتِي أو يَشفعونَ لغربتِي وشقائي؟!

وهذا ــ في رأيي ــ أنسب من ناحية أن الفصحى قد تشعر بالغربة والشقاء بين أبنائها العاقين لها الذين خذلوها وتآمروا مع الأعداء ضدها ، لكنها أبدا لن تذل أو تتعب ؛ فالله تعالى حافظها بحفظه الكتاب العزيز .

كما استبدل ــ في دقة ــ كلمتي (فاتن ، البلغاء) بـــ (ساحر ، الشعراء) ، في قوله :

ورقصتُ في ثوبٍ بهيٍّ فاتنٍ كالغِيْدِ بين أنامِلِ البلغاءِ

فالفتنة تناسب الغيد ، كما أن البلاغة عامة تشمل الشعراء وغيرهم ، فضلا عن التخلص من عيب الإيطاء في القافية ؛ حيث جاءت كلمة (الشعراء) قافية للبيت التاسع والعشرين ، فكان لزاما على الشاعر استبدالها في البيت السادس والثلاثين .

كما آثر وليد قصاب التعبير بالنكرة (يهود) بدلا من المعرفة (اليهود)؛ تحقيرا ، في قوله :

فبنُو يهود تمسَّكُوا بلسانِهِمْ أحْيَوْهُ من موتٍ وطولِ عَفَاءِ

كما استبدل كلمة (الدخلاء) بكلمة (الغرباء) ، في قوله :

وأرى بَنِيَّ تنكَّرُوا لجلودِهم واستعبدَتْهُم أَلْسُنُ الدُّخَلاءِ

وهي أدق في دلالتها على دور المحتلين في نشر لغاتهم بوطننا العربي على حساب لغتنا الفصحى حتى وقع في أسر لغاتهم أبناء العربية العاقون .

وهكذا جاءت ألفاظ الشاعر ــ بعد تنقيحها ــ معبرة عن أفكار قصيدته ومعانيها مع دورانها في فلك الدقة والسهولة ، والقرب والألفة ، وبُعدها عن التكلف والابتذال إلا في لفظة واحدة جاءت من قاموس العامة ، وهي (الخواجا) في قوله :

لغة (الخواجا) أعمشت أبصارهم عما أخبئ من كنوز صفاء

فهذه الكلمة عامية معاصرة ، وأصلها (الخواجة) ، وتعني الشخص غير العربي ، وهو الأجنبي الأوروبي أو الأمريكي غالبا ، بيد أن الشاعر قد وظفها بدقة في تصوير نفسية العاقين والجهلاء من أبناء العربية الفصحى الذين بهرتهم لغات الأعاجم ، فقدموها على لغتهم ؛ لإحساسهم بالنقص والدونية أمام كل ما هو غربي أو أجنبي ــ وهو ما يُعرف بين العامة في الشرق بـ (عقدة الخواجة) ــ من جهة ، ولعقوقهم وجهلهم بكنوز لغتهم الفصحى من جهة أخرى .

ـ الأساليب :

الأسلوب وصفه ابن خلدون بأنه " المنوال الذى ينسج فيه التراكيب ، أو القالب الذى يفرغ فيه "[١] ، ورأى أحمد الشايب أنه " الصورة اللفظية

(١) مقدمة ابن خلدون ــ تحقيق د. علي عبد الواحد وافي ــ ج ٣ ــ ص ١١٥٩ ــ دار نهضة مصر ــ الطبعة السابعة ٢٠١٤ م.

التي يُعبر بها عن المعاني ، أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال ، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني "[١].

ومن ثم فإن الأسلوب عِقد حباته التي تُسلك فيه هي الألفاظ التي ينقل الأديب بواسطتها تجربته الشعورية إلى المتلقي ، فالعلاقة ــ إذن ــ جد وثيقة بين الأساليب وبين الألفاظ ، ولذا فلا غرو أن تنعكس سمات حبات العقد وقسماتها عليه ؛ فيصطبغ بها في جملته .

ولقد كشفت دراسة الألفاظ في همزية وليد قصاب ــ في السطور السابقة ــ عن وضوحها وسهولتها ، وقربها وألفتها دون غموض أو تقعر، أو تكلف أو ابتذال في جملتها ، ومن ثم فإن تلك السمات قد انعكست على أساليب الشاعر ، فجاءت جزلة ، قوية ، واضحة ، فصيحة ، صحيحة بعيدة عن التعقيد أو الإبهام مع تعبيرها عن شعوره في كل أفكار القصيدة ، حيث يستطيع القارئ أن يقف على معناها من الوهلة الأولى دون عناء ، ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر : (أشكو إلى ربي عظيم بلائي ــ كثر الذين يسرهم إفنائي ــ إني أنا الضاد التي قد شُرِّفت ، وتفردت بمحاسن وبهاء ــ كم من خطيب بينكم لحَّانة ، مُسخت لديه ملامح الأشياء ــ وإذا يُعلِّم في المعاهد عالم ، أُقصيت عن علم له وقضاء ــ رطنوا بغيري ذلة وخساسة ، هانت عليهم عشرتي وإخائي .....) .

وإذا كانت الأساليب عامة في أي عمل أدبي تتنوع في تشكيلها من الصيغ الخبرية والإنشائية ، فإن الخبر قد فاق الإنشاء في تشكيل أساليب

---

(١) الأسلوب ــ أحمد الشايب ــ ص ٤٦ ــ الطبعة السابعة ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م ــ مكتبة النهضة المصرية .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الهمزية بشكل لافت ، ولعل ذلك مرده إلى أن الشاعر يتحدث عن واقع العربية الفصحى بين أبنائها ، وأن هذا الواقع لا مجال للشك فيه ، فأراد أن يقرر في هدوء ، ويوضح في طمأنينة هذه الحقيقة من خلال الأسلوب الخبري ، ومن نماذجه في القصيدة قول قصاب : (أرى الحراب تجمعت لتنوشني ، وتعيث في دوحي وفي أفنائي ــ من كل فج ظاهروا في ذلتي ــ يعقني من كنت أرجو نصرهم ، ووادهم في الليلة الظلماء ــ أرى ازورارا في وجوه أحبتي ، وتنكبا عن أيكتي الخضراء ــ لكن قلبي ليس يصدعه سوى جحد الحبيب ــ ربيتهم في دوحتي ، أعطيتهم من جنتي ، كسوتهم بردائي ــ قد صارت الفصحى يتيما ضائعا ما بين أبناء لها جهلاء ــ زعموا سأعجز عن صياغة علمهم ــ الشعر رمزي شوهوا قسماته ، تشبهوا بمشاعر الغرباء ــ جابوا بحور مدائني فمنحتهم ــ ما أمة يوما تضيع لسانها إلا تبيع ذخائر الآباء ــ أرى بنيَّ تنكروا لجلودهم ، واستعبدتهم ألسن الدخلاء ــ تنكبوا ظهر الطريق لأمهم ــ كتاب رب العالمين يضمني ــ أنا لسان المسلمين جميعهم ، ولسان أهل الجنة الفضلاء ....) .

ويجنح الشاعر قليلا إلى الأسلوب الإنشائي ؛ تنويعا في الصوت الشعري ، واستثارة لانتباه المتلقي ، ودَفْعًا ما قد يصيبه من سآمة أو ملل مع حمله على الاقتناع ومشاركته إياه شعوره وإحساسه ، ويظهر ذلك في أربعة مواضع فقط استعان فيها (وليد قصاب) بلونين من الأساليب الإنشائية هما (النداء ، والاستفهام) مع خروجهما عن معناهما الأصلي ، فالنداء جاء في سياق قوله :

وإذا حَداثيٌّ تشاعر بينكـــم كان الكلام كرُقْية العجماء
لا حسَّ فيه ولا معانيَ تُصْطفى يا ضيعة الأدباء والشعـراء
الشعر رمزي شوهوا قســماته وتشبهوا بمشـاعر الغرباء

فالشاعر في مقام تعريضه بأبناء العربيـة الجهـلاء، يتحـدث عـن المتشاعرين من أهل الحداثة الذين أعجزهم الأصيل من شـعر أسـلافهم ، فراحوا يتباهون بما جاءوا به من مسـخ مشـوه لا روح فيـه ولا رونـق متشبهين بالأعاجم الغرباء ــ في هذا السياق ــ يلجأ الشاعر إلـى صـيغة النداء (يا ضيعة الأدباء والشعراء) ؛ ليندب حالة الضياع ، ويبكـي هـذا التيه الذي سقط فيه هؤلاء الأدباء والشعراء ، ولا يخفى ما في الأسلوب من جمال الإطناب بذكر الخاص (الشعراء) بعد العام (الأدباء) ؛ تنبيها علـى فضل الخاص ، واهتماما به ، وزيادة في التنويه بشأنه ، وكأنه لـيس مـن جنس العام خاصة في مقام الحديث عن الشعر والشعراء.

وجاء الاستفهام للتعجب في سياق وصف الشـاعر ــ علـى لسـان الفصحى ــ حال أبنائها الذين تخلَّوا عنها ، وهجروها إلى غيرها خساسـة ونذالة :

رَطَـنُوا بغيري ذِلَّةً وخَساسةً هانت عليهم عِشْرتي وإخائي
ما بالُهم لا يعبؤونَ بحُرْمَتِي أو يَشفعونَ لغربتِي وشقائي؟!

ثم أعقب الشاعر هذا الاستفهام التعجبي بثلاثة استفهامات فـي بيـت واحد على لسان الفصحى أيضا ؛ للتنبيه علـى ضـلال هـؤلاء الأبنـاء ، والإشارة إلى خطئهم في معاملة أمهم الفصحى بعد أن حادوا عن الجـادَّة ، وتنكبوا طريق آبائهم أهل مودتها وصحبتها ورجائها :

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أصبحتُ أسألُ : أين أهلُ مودَّتي؟ أين الصِّحَابُ؟ وأين أهلُ رجائي؟!

وفي سياق لوم الفصحى هؤلاء الأبناء الذين تنكروا لها ، وأولعوا بغيرها ، يأتي الاستفهام للنفي :

وتنكَّبُوا ظَهرَ الطَّريق لأمِّهم أفَبَعْدَ ثديِ الأمِّ من أثداءِ؟

واستخدم الشاعر الأسلوب الخبري (والله يحفظ ضيعتي) بمعنى إنشائي لغرض الدعاء في قوله على لسان الفصحى :

لكنني.والله يحفظ ضيعتي. سأظل أَشْمَخُ في ذُرا العليـاء

وحري بالدراسة أن توضح إضافة الشاعر أربعة عشر بيتا في صورة القصيدة محل الدراسة زيادة على صورتها في الديوان ، وهي إضافة أسلوبية قد أَثْرَت جانبيها الفكري والفني دون شك ، وهذه الأبيات قوله :

من كل فج ظاهروا في ذلتي كثر الذين يسرهم إفنائي

وقوله :

نزل الكتاب بها فصارت وحدها قُدُسِيّةَ القَسَمات والأسماء

وقوله :

وإذا يعلّم في المعاهد عالم أُقْصِيتُ عن علمٍ له وقضاء
زعموا سأعجز عن صياغة علمهم لو عاينوا الأصداف في أحشائي
لو عاينوا ما فيّ من دُرٍّ وما في داخلي من جوهر وثراء
لغة (الخواجا) أعمشت أبصارهم عما أخبئ من كنوز صفاء
وإذا حَداثيٌّ تشاعر بينكم كان الكلام كرُقْية العجماء

لا حسَّ فيه ولا معانيَ تُصْطفى يا ضيعـــــة الأدباء والشعـراء

الشعر رمزِي شوهوا قســـماته وتشبهـــوا بمشاعر الغربـــاء

وقوله :

ما أمةٌ يوما تُضِيع لسانَهـــا إلا تبيع ذخـائـر الآبـــاء

وقوله :

فأقاموا منه في فلسطين التي غصبوا بناءً طاولوا ببناءِ

وقوله :

لكنني. والله يحفـــظ ضيعتي. سأظل أَشْمَخُ في ذُرا العليـاء

فكتـــــاب رب العالمين يضمني وتكفـــــلت آياته ببقائي

وأنـا لسـان المسلمين جميعـهم ولسـان أهلِ الجنة الفضلاء

وكما نقّح الشاعر بعض الألفاظ ــ على نحو ما سلف بيانه ــ فقد قام بتعديل بعض الأساليب في الصورة الأخيرة للقصيدة ــ محل البحث ــ عــن صورتها في الديوان ، ومن ذلك ما جاء في المطلع الذي سبق الحديث عنه، إلى جانب ما جاء بيتين آخرين ، أولهما قوله :

هَجَرُوا الكِتابَ فما صفتْ أسماعُهم واعتاصَ نطقُ حروفِهم بَصَفَاءِ

فالشطر الأول في هذا البيت كان أصله (هجروا الكتاب فضاع ســمت كلامهم)، غيــر أن تعديلــه إلــى صــورته الأخيــرة (هَجَــرُوا الكِتــابَ فما صفتْ أسماعُهــم) أنسب ــ في رأيي ــ لما فيه من بيان فضل قــراءة القرآن الكريم ومدارسته وسماعه في فهم الفصحى ، وتذوقها جمالياتهــا ،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وأن الآذان إذا اعتادت سماعه صفت ، وظهر أثر ذلك في تقويم الألسنة ، ونطقها الفصحى نطقا سليما صحيحا .

والبيت الآخر قوله :

رَفَعَ المضافَ ولم يُوَقِّرْ حقَّه أو جرَّ أحوالا بغير حياءِ

فالشطر الثاني في هذا البيت كان أصله (أو جر أسماء بلا استحياء)، ومعلوم أن الجر من خصائص الأسماء عامة ، ومن ثم فالخطأ في جرها لا يقع مطلقا ، وإنما فقط إذا كانت تستحق النصب أو الرفع ، والتعبير بهذا الأسلوب قد يحدث لبسا في فهم معنى البيت ، وقد أجاد الشاعر بتعديله إلى (أو جرَّ أحوالا بغير حياءِ) ؛ حيث أزال ذلك اللبس بتحديد نوع من الأسماء لا يكون إلا منصوبا ، وهو (الحال) ، وجرها يعد مخالفة نحوية تنبئ عن جهل من يفعل ذلك بقواعد الفصحى .

غير أن الشاعر في الشطر الأول قد جعل رفع (المضاف) من الأخطاء في تطبيق قواعد العربية ، مع أن (المضاف) يعرب حسب موقعه من الكلام رفعا ونصبا وجرا ، والمخالفة بالرفع أو النصب تكون مع (المضاف إليه) ؛ لأنه مجرور على الدوام ، وهذا ما قصده الشاعر لكن جانبه الصواب في التعبير .

ظواهر أسلوبية :

١ ـ التكرار :

من الظواهر الأسلوبية التي حفلت بها القصيدة ظاهرة التكرار، ويقصد بها " إعادة ذكر كلمة أو عبارة بلفظها ومعناها في موضع آخر ، أو مواضع متعددة من نص أدبي واحد "[١] ، ومنها تكرار الشاعر (كـم) الخبرية ؛ دلالة على التكثير والمبالغة في المعنى، وذلك في قوله على لسان الفصحى:

كم من خطيبٍ بينكم لحَّانَةٍ مُسِخَتْ لديه ملامحُ الأشيـاءِ

وقوله :

كم زاحَمَتْني أَلْسنٌ عُجميَّةٌ وعَدَتْ عليَّ رَطَانَةُ الهُجَنَاءِ

وقوله :

كم من لغاتٍ في الورى مَطموسةٍ نَبُهَتْ بفضلِ رجالِها النُّجَبَاءِ

وللدلالة كذلك على الافتخار والتباهي ، في قوله :

كم صُفْتُ من حَسَنٍ ومن أعجوبةٍ وخَطَرْتُ فوقَ حديقةٍ زهراءِ

وقوله :

كم سُحْتُ في دنيا العلوم رشيقةً أختالُ بينَ أزاهرِ العلماءِ

كما كرر الشاعر أسلوب الشرط المعتمد على الأداة (إذا) ؛ للتفصيل والاستطراد في عرض المعاني واستيعابها من جهة ، وللربط بين الجملتين

---

(١) البحث البلاغي عند العرب ــ د. شفيع السيد ــ جـ ٢ ــ ص ٢١٢ ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة ١٩٩٦ م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في كل أسلوب شرطي على نحو يحدث التناسق والانسجام في القصيدة من جهة أخرى ، وذلك في قوله مبينا دلائل يُتْم الفصحى بين أبنائها الذين يجهلونها :

وإذا تحدَّث في الدروسِ معلِّمٌ هجرَ الأصيلَ إلى لُغَى الدَّهْمَاءِ
وإذا يعلّم في المعاهد عالم أُقْصِيتُ عن علمٍ له وقضاء
وإذا حَداثيٌّ تشاعر بينكم كان الكلام كرُقْيَة العجماء

كما كرر الشاعر أداة الشرط (لو) مع فعل الشرط ، ثم حذف الجواب في قوله :

زعموا سأعجز عن صياغة علمهم لو عاينوا الأصداف في أحشائي
لو عاينوا ما فيّ من دُرٍّ وما في داخلي من جوهر وثراء

فالفصحى تعتب على أبنائها الذين اتهموها بالعجز عن صياغة العلوم الحديثة ، وتحثهم على معاينة كنوزها من أصداف ودرٍّ وجواهر ، وقد دل على ذلك تكرار (لو عاينوا) مرتين ، وقد حذف الشاعر جواب الشرط فيهما ؛ للدلالة عليه بما جاء في صدر البيت الأول ، وتقدير الجواب فيهما : لعلموا قدرتي وعدم عجزي عن صياغة علمهم ، وهذا أجمل من ناحية الإيجاز ، وإعمال الفكر ، وإثارة الذهن في تقدير معنى الجواب .

كما كرر الشاعر أسلوب الاستفهام المصَدَّر بـ (أين) في قوله :

أصبحتُ أسألُ : أين أهلُ مودَّتي؟ أين الصِّحَابُ؟ وأين أهلُ رجائي؟!

فتكرار (أين) التي تستفهم ــ أصالة ــ عن المكان ، يوحي بشعور الفصحى بالغربة في وطنها بين أبنائها الذين جفوها ، وضلوا طريق آبائهم وأجدادهم الذين ارتبطوا معها بالود والصحبة والرجاء .

ومن التكرار ــ أيضا ــ تكرار شبه الجملة (الجار والمجرور ــ به) في قوله :

إن اللسانَ على النفوس علامةٌ وبه تُقــاسُ أصالةُ الأُصَلاَءِ

وبه تُمَيَّـــزُ أمّـةٌ من غيرِهــا وبــه افتِخَارُ الفتيةِ الشُّرَفَاءِ

فقد كرر الشاعر شبه الجملة ــ حرف الجــر (البــاء) ، والضــمير (الهاء) الذي يعود على (اللسان) بمعنى (اللغة) ــ ثلاث مرات مــؤثرا في ذلك التقديم ، وهــو أحــد طــرق القصــر ؛ ليفيــد التأكيــد والحصــر والتخصيص، فلا تقاس الأصالة ، ولا تتمايز الأمم ، ولا فخــر للشــرفاء إلا بلسانهم ولغتهم ، لأن المحافظة على اللسان أو اللغة هــي أمــارة الأصــل والتميز والشرف .

وتجدر الإشارة إلى إيثار الشاعر تكرار بعض المفردات التي سيطرت على معجمه اللغوي في القصيدة ، وإن أكسب بعضها معنى جديدا عن طريق الإضافة ، أو الاشتقاق على نحو يسفر عن تكرار المعاني المرتبطــة بهــذه المفردات ــ أحيانا ــ من ناحية ، ويبين شيوع ظاهرة التكرار في أســلوب القصيدة من ناحية أخرى ، وذلك مثل : (أُمُّهم / أُمّ اللغات / لأُمِّهم / الأُمّ) في البيتين (العاشر ، والتاسع والأربعين) ، وفي إلحــاح الشــاعر علــى استخدام هذه المفردة دلالة على فضل الفصحى على أبنائها ، وإشارة جليــة إلى الحق الواجب عليهم تجاهها .

ومن ذلك أيضا كلمة (الكتاب) التي تكررت ثلاث مرات ــ مقصــودا بها القرآن الكريم ــ في الأبيات الثالث عشر ، والثامن عشــر ، والحــادي والخمسين (نزل الكتاب بها / هجروا الكتاب / فكتاب رب العالمين يضمني)؛

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي هذا التكرار إظهار لشرف العربية الفصحى ، وفضلها على سائر اللغات البشرية .

ومنه أيضا تكرار جملة (منحتهم) في البيتين السابع ، والثامن والثلاثين (ومنَحْتُهم حُلَلَ الفَخَارِ قَشيبةً / جابُوا بحورَ مدائني فمنحتُهمْ ما فيَّ من ذهبٍ...) ، وفيه إيحاء بثراء العربية ، وفضلها على جميع المنتسبين إليها .

كما كرر وليد قصاب مفردات أخرى ، مثل (حُرْمَتي) في البيتين التاسع ، والثالث والثلاثين (لكنَّهم لم يَدْفَعُوا عن حُرمَتي/ ما بالُهم لا يعبؤونَ بحُرْمَتِي) ، ولفظة (طول) في البيتين الأربعين ، والسادس والأربعين (وطولِ عِداءِ/ وطولِ عَفَاءِ) ، وكلمة (أمة) في البيتين الثالث والأربعين وما بعده (وبه تُمَيَّزُ أمّةٌ / ما أمةٌ) ، ولفظة (لسان) بمعنى (لغة) قد تكررت بعدة صور في الأبيات الثاني والثلاثين ، والثاني والأربعين ، والرابع والأربعين ، والسادس والأربعين ، والثامن والأربعين ، والثاني والخمسين (أَلْسنٌ عُجميَّةٌ / إن اللسانَ على النفوس علامةٌ / تُضِيع لسانَها / تمسَّكُوا بلسانِهِمْ / أَلْسُنُ الدُّخَلاءِ/ لسان المسلمين / ولسان أهلِ الجنة).

كما كرر الشاعر مادة (ع ل م) في عدة أبيات (يعلِّم / عالم / علْم / علمهم / العلوم / العلماء / متعالم / معالم / علامة) ، ومادة (ل غ و) في (لُغَى الدَّهْمَاءِ/ لغة الخواجا / كم من لغاتٍ) ، ومادة (ب ن و) في (الأبناء/ أبناء/ بنيَّ/ بَنُو) ، ومادة (ن ك ب) في (وتنكُّبًا عن أيكَتي/ وتنكَّبُوا ظَهرَ الطَّريق) ، ومادة (ر ط ن) في (رَطَنُوا بغيري/ رَطَانَةُ

الهُجَنَاءِ) ، ومادة (ر ج و) في (أرجو نصرهم/ أهلُ رجـائي) ، ومـادة (ج ه ل) في (جهلاء/ جاهل) .

ويؤخذ على الشاعر تكرار كلمة (الأسماءِ) في آخر البيتين (الثالث عشر ، والثاني والعشرين) ، وكلمة (صفاءِ) في آخر البيتـين (الثـامن عشر ، والسابع والعشرين) ؛ بحثا عن القافية وإن تجنب عيبها بالإيطاء .

٢ ـ الاقتباس والتضمين :

يقصد بالاقتباس " أن يضمن المتكلم كلامه من شعر أو نثر كلاما لغيره بلفظه أو بمعناه ، من القرآن الكريم ، أو من الحديث الشريف ، أو الشعر ، أو غير ذلك ، دون أن يعزو المقتبس القول إلى قائله " (١).

وذهب صاحب الخزانة إلى أن الاقتباس يكون بتضمين الكلام كلمة من آية أو آية من القرآن الكريم ، وأنه يجوز تغيير لفظ المقتَبَس منه بزيادة أو نقصان ، أو تقديم أو تأخير ونحوه ، وسماه في النثر اقتباسا ، وفي الـنظم عقدا وتضمينا ، وأشار إلى أن بعض النقاد قد جعل من هذا الباب أيضا مـا يكون من الحديث الشريف ، وكذا فروع العلم المختلفة كالفقه ، والمنطـق ، والنحو ، والعروض وغيرها مدللا على ذلك بنماذج عديدة (٢) .

وفي همزية وليد قصاب تتجلى ظلال القرآن الكريم والحديث الشريف إلى جانب الشعر وبعض علوم العربية .

---

(١) البلاغة العربية ، أسسها ، وعلومها ، وفنونها ــ عبد الرحمن حسن حبَنَّكـة الميـداني ــ ج ٢ ــ ص ٥٣٦ بتصرف ــ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ــ ١٩٩٦ م ــ دار القلم ــ دمشق ــ والدار الشامية ــ بيروت .

(٢) ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ــ لابن حجة الحموي ــ شرح : عصام شعيتو ــ ج ٢ ــ ص ٤٥٥ ومـا بعدها .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فمن اقتباسه من القرآن الكريم والحديث النبوي ما سبقت الإشارة إليه في مطلع القصيدة :

أشكُو إلي ربي عظيمَ بلائي وتَوَثُّبَ الحُسَّادِ والأعداءِ

فقوله : (أشكُو إلى ربي) فيه من قول الله عز وجل على لسان نبيه يعقوب عليه السلام : ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (١) ، وقوله : (عظيم بلائي) فيه تأثر بقول الله سبحانه:﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ (٢) ، وقول النبي ﷺ : (إنَّ عِظمَ الجزاءِ مع عِظمِ البلاءِ) (٣).

ومنه قوله :

من كل فجٍّ ظاهروا في ذلتي كثر الذين يسرهم إفنائي

فقوله : (من كل فجٍّ) مأخوذ من قول الله سبحانه : ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ (٤).

ومنه ما جاء في قوله :

نزل الكتاب بها فصارت وحدها قُدُسِيّةَ القَسَمات والأسماء

فمعنى جملة (نزل الكتاب بها) موجود في آيات من القرآن الكريم ، مثل قول الله سبحانه : ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ (٥).

---

(١) سورة يوسف ، من الآية (٨٦) .
(٢) سورة البقرة ، من الآية (٤٩) .
(٣) سنن الترمذي ــ تعليق العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ــ ص ٥٤٠ ــ باب (ما جاء في الصبر على البلاء) ــ من حديث رقم : ٢٣٩٦ (حسن) .
(٤) سورة الحج ، الآية (٢٧) .
(٥) سورة يوسف ، الآية (١ : ٢) .

ومنه قوله :

هَجَرُوا الكِتابَ فما صفتْ أسماعُهم واعتاصَ نطقُ حروفِهم بَصَفَاءِ

فالتعبير (هَجَرُوا الكِتابَ) فيه تأثر بقول الحق سبحانه : ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ (١).

وفي استعمال لفظة (لسان) بمعنى (لغة) ، والتي تكررت بعدة صور ــ على نحو ما سبقت إليه الإشارة ــ تأثر بقول الله سبحانه : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ﴾ (٢) .

ومنه قوله :

وتنكَّبُوا ظَهرَ الطَّريق لأمِّهم أفَبَعْدَ ثدي الأمِّ من أثداءِ؟

فالأسلوب (وتنكَّبُوا ظَهرَ الطَّريق) فيه تأثر بقول الله سبحانه : ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (٣) .

ويمتح قصاب من معين الألفاظ القرآنية (كتاب / رب العالمين / آياته/ لسان / المسلمين / أهل / الجنة) في قوله :

فكتاب رب العالمين يضمني وتكفلت آياته ببقائي

وأنا لسان المسلمين جميعهم ولسان أهلِ الجنة الفضلاء

---

(١) سورة الفرقان ، الآية (٣٠) .

(٢) سورة إبراهيم ، من الآية (٤) .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية (٧٤) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فضلا عن تأثره في قوله : (فكتاب رب العالمين) بقول المولى عز وجل : ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [(١)] ، وفي عجز البيت الأخير تأثر بقول الرسول ﷺ : (أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي، والقرآنَ عربي ، وكلامَ أهل الجنة عربي) [(٢)] .

كما تأثر وليد قصاب في همزيته بشاعر النيل (حافظ إبراهيم) في تائيته المشهورة [(٣)] بداية من العنوان ــ وقد سبق الحديث عنه ــ ثم في طريقة التصوير الشعري ــ وسيأتي بيانه ــ وفي بعض معاني القصيدة ، ومن ذلك قوله مبينا فخر الفصحى بنزول القرآن الكريم بها ، واستيعابها الوحي بمقاصده ومعانيه :

اللهُ عظَّمها فصاغَتْ وَحْيَه	بالمعجزاتِ وبالسَّنَا الوضَّاء
نزل الكتاب بها فصارت وحدها	قُدُسِيّةَ القَسَمات والأسماء
عَرَضَتْه في لفظٍ بهيٍّ ساحرٍ	وجمالِ إيقاعٍ وحُسنِ أداءِ
صاغَتْه فكرًا مُعْجِزًا متألِّقًا	خرَّتْ لديه أكابرُ الفُصَحَاءِ

وهذا المعنى نجده في قول حافظ :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية	وما ضقت عن آي به وعظاتِ

---

(١) سورة السجدة ، الآية (٢) .

(٢) الجامع لشعب الإيمان ــ للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ــ تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد ــ ج ٣ ــ ص ٣٤ ، ٣٥ ــ الحديث رقم ١٣٦٤ (ضعيف) ــ الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ــ ٢٠٠٣ م ــ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ــ المملكة العربية السعودية .

(٣) ديوان حافظ إبراهيم ــ ص ٢٥٣ : ٢٥٥ .

ومن ذلك أيضا قوله موضحا اتهام الفصحى ـ بهتانا ـ بالعجز والقصور أمام معطيات العلم الحديث على الرغم من ثرائها وغناها :

زعموا سأعجز عن صياغة علمهم ... لو عاينوا الأصداف في أحشائي
لو عاينوا ما فيّ من دُرٍّ وما ... في داخلي من جوهر وثراء

فهذا المعنى مأخوذ من قول حافظ :

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعاتِ
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

ومن ذلك قوله مصورا عقوق أبناء الفصحى بهجرها إلى غيرها من اللغات الأعجمية ، ومزاحمتها إياها على ألسنتهم :

رَطَنُوا بغيري ذِلَّةً وخَساسةً ... هانت عليهم عِشْرتي وإخائي
كم زاحَمَتْني أَلْسنٌ عُجميَّةٌ ... وعَدَتْ عليَّ رَطَانَةُ الهُجَنَاءِ

ففيه تأثر بقول شاعر النيل :

أيهجرني قومي ـ عفا الله عنهم ـ ... إلى لغة لم تتصل بروايةِ
سرت لُوثة الإفرنج فيها كما سرى ... لُعاب الأفاعي في مسيل فراتِ
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مُشَكَّلة الألوان مختلفاتِ

ومن ذلك قوله معبرا عن قيمة اللغة الحية ؛ إذ بها تعرف كرائم النفوس ، وتقاس أصالتها ، وتتمايز الأمم ، ويعتز ويفخر شرفاؤها :

إن اللسانَ على النفوس علامةٌ ... وبه تُقاسُ أصالةُ الأُصَلاَءِ
وبه تُمَيَّزُ أمّةٌ من غيرِها ... وبه افتِخَارُ الفتيةِ الشُّرَفَاءِ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فقد نظر فيه إلى قول حافظ : (وكم عَزَّ أقوام بعــزِّ لغــاتِ) ، مــع ملاحظة اختلاف الأسلوب بين الشاعرين في التعبير عن تلك المعاني ؛ حيث غلبت النزعة الخبرية عند وليد قصاب ، في الوقت الذي برز فيه الأســلوب الإنشائي وخاصة الاستفهام عند حافظ إبراهيم .

وإلى جانب ما سبق ، فقد ضــمَّن قصــاب همزيتــه أســماء بعــض المصطلحات النحوية والأدبية مثل : (المضاف / أحوال جمع حال / استثناء / الحروف / الأسماء / حداثيٌّ) ، والإشارة إلى العلامات الإعرابية (الرفع والجر والنصب) في (رفع / جرَّ / نصب) ، وذلك في قوله :

كم من خطيبٍ بينكم لحَّانَــةٍ ... مُسِخَتْ لديه ملامحُ الأشيــاءِ
رَفَعَ المضافَ ولم يُوَقِّرْ حقَّــه ... أو جرَّ أحوالا بغير حيــــاءِ
ولربَّما نصبَ الكلامَ جميعَــه ... من غيرِ ما فرقٍ ولا استثنــاءِ
ومحاضرٍ هَصَرَ الحديثَ مكسِّرًا ... ضِلْعَ الحروفِ ورَقْبَةَ الأسماءِ
وإذا حَداثيٌّ تشاعر بينكـــــم ... كان الكلام كرُقْيَة العجمــاء

٣ ـ الحكمة :

بَيْن رَسْم صورة الفصحى في أنينها وشكواها وثقتها بربها ، بث وليد قصاب بعض الحكم التي تعكس مكانة اللغة ، وأهميتهــا ، وتبــين حتميــة المحافظة عليها ، معبرا عنهــا بـــــ (اللســان) علــى ســبيل المجــاز ، فــ (اللسان علامة على كرائم النفوس) ، و(باللسان تقاس أصالة الأصلاء)، و(باللسان تتمايز الأمم) ، و(باللسان يفتخر الشرفاء) ، و(الأمة التي تضــيع لسانها تبيع تراث آبائها) ، وذلك في قوله :

إن اللسانَ على النفوس علامةٌ وبه تُقاسُ أصالةُ الأُصَلاَءِ
وبه تُمَيَّزُ أمّةٌ من غيرِها وبه افتِخَارُ الفتيةِ الشُّرَفَاءِ
ما أمةٌ يوما تُضِيع لسانَها إلا تبيع ذخائر الآباء

وعلى هذا النحو تنوعت أساليب الشاعر في همزيته ، وتعددت ظواهرها ، كما اتسمت ــ في جملتها ــ بالجزالة ، والقوة ، والوضوح ، مع الفصاحة ، والدقة ؛ لتعبر عن صدق عاطفته الإسلامية ، وسمو تجربته العروبية ، وتؤكد الفكرة الرئيسة التي استهدف توصيلها إلى متلقيه .

ثالثا ـ التصوير الشعري :

لا ريب في أن التصوير من أهم الأدوات الفنية في إبراز التجربة الشعرية ؛ ويعتمد ــ أساسا ــ على عنصر(الخيال) الذي تلجأ إليه العاطفة في التعبير عن نفسها حين تعجز العبارات الأخرى دون تحقيق هذه الغاية الأدبية ، وهو ملكة خاصة لدى الشاعر تعينه على إبداع صوره وتأليفها ، وبه يجسد المعاني والأشياء من خلال لغة تصويرية تدور في فلك التشبيه والمجاز والكناية ، ولعل التشخيص هو أهم أنواع تلك اللغة التصويرية ؛ إذ ينفخ الشاعرُ الروحَ في تلك المعاني والأشياء ، ويجعلها تعيش بيننا حية تنبض بالحركة ، لها أيد وأرجل ، وروح وجسم ، ولها عقولنا وعواطفنا وأفكارنا [١] .

---

(١) ينظر : أصول النقد الأدبي ــ أحمد الشايب ــ ص ٣٣ ــ الطبعة العاشرة ١٩٩٤م ــ مكتبة النهضة المصرية، وينظر أيضا : في النقد الأدبي ــ د. شوقي ضيف ــ ص ١٦٧ ــ الطبعة التاسعة ٢٠٠٤م ــ دار المعارف ــ مصر ، وينظر كذلك : في الأدب والنقد ــ د. شوقي ضيف ــ ص ١٥ ــ دار المعارف ــ مصر ١٩٩٩م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والهمزية بداية من عنوانها حتى آخر بيت فيها تعتمد على هذا النوع التصويري ، فقد شخَّص فيها وليد قصاب العربية الفصحى ، ونفث فيها الحياة ، فرأيناها في مشاهد عدة ، تحس وتشعر ، وتئن وتشكو ، وتعتز وتفخر ، وتتساءل وتقدم النصح لأبنائها.. رأيناها تصارع حُسَّادها وأعداءها، وتدافع عن نفسها مفندة دعاوى خصومها والحاقدين عليها ، وتهاجمهم فتصرعهم ، وتكشف جهلهم وأباطيلهم ، وقد استعان الشاعر في رسم هذه المشاهد المؤثرة بكثير من صور البيان الجزئية المتدفقة ، والعديد من الألوان والظلال الموحية ، ومن ذلك ما نجده في قوله :

أشكُو إلى ربي عظيمَ بلائي ... وتَوَثُّبَ الحُسَّادِ والأعداءِ
وأرى الحِرَابَ تجمَّعَتْ لتنُوشَنِي ... وتَعِيثَ في دَوْحِي وفي أفنائي
من كل فج ظاهروا في ذلتي ... كثر الذين يسرهم إفنائي
ويَعُقُّني منْ كنتُ أرجو نصرهم ... ووِدادَهم ، في الليلةِ الظَّلماءِ
وأرى ازوِراراً في وُجوهِ أحبتي ... وتنكُّبًا عن أيكَتي الخضراءِ
لكنَّ قلبي ليس يصدَعُه سوى ... جَحْدِ الحبيبِ ، وجفوةِ الأبناءِ
ربَّيْتُهُم في دَوحَتي ، أعطيْتُهم ... من جنَّتي ، وكسَوْتُهم بردَائي
ومنَحْتُهم حُلَلَ الفَخَارِ قَشيبةً ... فَخراً يجاوِزُ جَبهةَ الجَوْزَاءِ
لكنَّهم لم يَدْفَعُوا عن حُرمَتي ... أو يُعْظِموا قدري وحَقَّ وفائي

فالعربية الفصحى ــ في هذا المشهد ــ تبدو شاخصة أمام أعيننا ، وقد اتسمت بصفات البشر من أنين وشكوى مما حلَّ بها من بلاء عظيم ؛ حيث تربص بها الحساد والأعداء ، وتظاهروا عليها ، وكادوا لها كيدا ، كما عقَّها أبناؤها الذين بذلت لهم كل غال ونفيس ، وتخلوا عنها وقت شدتها ،

فانفطر قلبها بجحودهم إياها ، وقسوتهم عليها .. وهذا التصوير الشعري قد تآزرت في تشكيله الألفاظ والأساليب المعبرة على لسان الفصحى من خلال عنصر التشخيص الذي تقوم عليه الاستعارة المكنية ، بجانب بعض الصور البيانية الأخرى كالاستعارة التصريحية في (وأرى الحِرَابَ تجمَّعَتْ/ تَعِيثَ في دَوْحِي وفي أفنائي/ منَحْتُهم حُلَلَ الفَخَارِ قَشيبةً) ، والاستعارة المكنية في (فخرا يجاوِزُ جَبهةَ الجَوْزَاءِ) ، والكناية بـ (الليلة الظلماء) عن الشدة والمحنة في قوله : (ويَعُقُّني منْ كنتُ أرجو نصرهم ووِدادَهم ، في الليلةِ الظَّلماءِ) ، والكناية بـ (أيكتي الخضراء) عن ثراء الفصحى وغناها بالمفردات والمشتقات في قوله : (وأرى ازورارًا في وُجوهِ أحبتي وتنكُّبًا عن أيكَتي الخضراءِ) ، وقد برزت ظلال الحركة واللون والصوت في تشكيل هذه اللوحة الفنية فنجد الحركة في (توثب/ تجمعت/ تنوشني/ تعيث/ ازورارا/ تنكبا/ يصدعه/ منحتهم/ أعطيتهم/ يجاوز/ يدفعوا) ، واللون في (الليلة الظلماء/ أيكتي الخضراء) ، والصوت في (أشكو) على نحو يبين براعة الشاعر في توظيف كل أدواته الفنية في رسم ملامح تلك اللوحة بما يثير الحزن في نفس القارئ على ما آل إليه حال الفصحى بين أبنائها .

وإذا يممنا الوجه شطر لوحة فنية ثانية ، رأينا الفصحى تتباهى بين اللغات بنزول القرآن الكريم بها في قول قصاب :

أنا أُمُّهم ، أمُّ اللغاتِ جميعِها ... فضلٌ خُصِصْتُ به على النُّظَرَاءِ
إني أنا الضادُ التي قد شُرِّفَتْ ... وتفرَّدَتْ بمحاسنٍ وبهاءِ
اللهُ عظَّمها فصاغَتْ وَحْيَه ... بالمعجزاتِ وبالسَّنَا الوضَّاء
نزل الكتاب بها فصارت وحدها ... قُدُسِيّةَ القَسَمات والأسماء

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عَرَضَتْـه في لفظٍ بهيٍّ ساحرٍ وجمـــالِ إيقاعٍ وحُسنِ أداءِ
صاغَتْه فكرًا مُعْجِزًا متألِّقًا خرَّتْ لديه أكابرُ الفُصَحَاءِ

ففي هذا المشهد تقف الفصحى مفاخرة متباهية بما حباها الله تعالى من شرف ، وبما اختصها دون سواها من عظمة وفضل ؛ فقد وعت كتابه العزيز ، وصاغت وحيه المنزل بأبهى لفظ ، وأجمل إيقاع ، وأحسن أداء ، كما عبرت عن معانيه ومضمونه بأسلوب بليغ أعجز أكابر الفصحاء من ذوي البيان ، وقد استعان الشاعر في رسم هذه اللوحة الفنية ــ فضلا عن التشخيص ــ ببعض الصور الجزئية ، كالتشبيه البليغ في (أنا أمُّهم) ، والذي يبين مكانة العربية نسبة إلى من ينتمون إليها ، فهي أمٌّ حقيقية لهم حبا وشفقة ، وتضحية وعطاء ، والاستعارة المكنية التي تظهر مكانة العربية الفصحى بين غيرها من اللغات في (أمُّ اللغاتِ جميعِها) ، مع الكناية عن موصوف هو اللغة العربية في (أنا الضادُ) ، والكناية بـ (الكتاب) عن القرآن الكريم ، وقد تآزرت المعنويات مع الحركيات والمرئيات والمسموعات في إبراز هذا المشهد التصويري ، مثل (فضلٌ/ شُرِّفَتْ/ محاسن/ بهاء/السَّنَا الوضَّاء/ نزل/ قُدُسِيّةَ/ القَسَمات/ بهيٍّ/ ساحر/ جمال/ إيقاع/ حُسْن/ أداء/ فكراً/ متألقاً/ خرَّت) على نحو يلائم فكرة تفاخر العربية الفصحى وتباهيها ، وتشريفها وتفضيلها على غيرها .

كما تُسفر هذه اللوحة وما بعدها عن أنه إذا كان وليد قصاب قد تأثر بتائية حافظ إبراهيم ــ سالفة الذكر ــ في طريقة التصوير الشعري باعتماده على تشخيص اللغة العربية ، وصياغة شعوره وما يجيش بعاطفته حكاية على لسانها بصيغة التكلم ، فإن عدوله عن تلك الحكاية ــ في هذه الصورة الكلية وما تلاها ــ إلى الإخبار بضمير الغائب تارة ، وصيغة الخطاب تارة

ثانية ، ثم العودة إلى التكلم بلسانها مرة أخرى ، وهو ما يسميه البلاغيون (الالتفات) مما يميز الهمزية ؛ لما فيه من تنويع في الأسلوب ، والكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب استثار انتباه السامع ، وكان أدخل في القبول عنده ، وأحسن تطرية لنشاطه ، وأملا في استمرار إصغائه [١] .

على أن ذلك يتجلى في هذا المشهد الذي يصوره قصاب بقوله :

قد صارتِ الفُصحى يتيمًا ضائعًا ... ما بينَ أبناءٍ لها جُهَلاَءِ
لا يعرِفُون أصولَها وجُذورَها ... أو يَغتَذون برَوضِها المِعْطَاءِ
هَجَرُوا الكِتابَ فما صفتْ أسماعُهم ... واعتاصَ نطقُ حروفِهم بَصَفَاءِ
كم من خطيبٍ بينكم لحَّانَةٍ ... مُسِخَتْ لديه ملامحُ الأشياءِ
رَفَعَ المضافَ ولم يُوَقِّرْ حقَّه ... أو جرَّ أحوالا بغير حياءِ
ولربَّما نصبَ الكلامَ جميعَه ... من غيرِ ما فرقٍ ولا استثناءِ
ومحاضرٍ هَصَرَ الحديثَ مكسِّرًا ... ضِلْعَ الحروفِ ورَقْبَةَ الأسماءِ
وإذا تحدَّث في الدروسِ معلِّمٌ ... هجرَ الأصيلَ إلى لُغَى الدَّهْمَاءِ
وإذا يعلّم في المعاهد عالم ... أُقْصِيتُ عن علمٍ له وقضاء
زعموا سأعجز عن صياغة علمهم ... لو عاينوا الأصداف في أحشائي
لو عاينوا ما فيّ من دُرٍّ وما ... في داخلي من جوهر وثراء
لغة (الخواجا) أعمشت أبصارهم ... عما أخبئ من كنوز صفاء
وإذا حَداثيٌّ تشاعر بينكم ... كان الكلام كرُقْية العجماء
لا حسَّ فيه ولا معانيَ تُصْطفى ... يا ضيعة الأدباء والشعراء

---

(١) ينظر : مفتاح العلوم ــ تأليف : أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ــ تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ــ ص ٢٩٦ ــ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الشعر رمزِي شوهوا قسماته وتشبهوا بمشاعر الغرباء
رَطَنُوا بغيري ذِلَّةً وخَساسةً هانت عليهم عِشْرتي وإخائي
كم زاحَمَتْني أَلْسنٌ عُجميَّةٌ وعَدَتْ عليَّ رَطَانَةُ الهُجَنَاءِ
ما بالُهم لا يعبؤونَ بحُرْمَتِي أو يَشفعونَ لغربتِي وشقائي؟!

ففي هذه اللوحة الشعرية تصوير رائع لمأساة العربية بين أبنائها الذين جهلوا فضلها ومكانتها ، وأصولها وقواعدها ، ولم يكتفوا بذلك بل اتهموها بالعجز عن صياغة العلوم الحديثة، ومن ثم هجروها إلى غيرها من اللغات الأعجمية تاركين إياها بحزنها وأنينها نذالة وخسة منهم تجاهها .

والالتفات واضح فيها ، فقد انتقل الشاعر قبل هذه الأبيات من الحديث بلسان إلى الفصحى إلى التعبير عنها بصيغة الغائب التي استمرت مع بداية هذه اللوحة ، وليس أدل على ذلك من تكرار ضمير الغائبة المؤنثة الذي يعود على الفصحى في (لها/ أصولها/ جذورها/ بروضها) ، ثم جعلها تخاطب أبناءها الجهلاء بعد ذلك في قوله : (كم من خطيب بينكم لحّانة.../ وإذا حداثيٌّ تشاعر بينكم...) ، مع العدول إلى الصيغة الأساسية ــ التي اعتمد عليها التصوير في جلِّ الهمزية ، وهي التكلم بلسان الفصحى ــ بقوله في هذه الأبيات : (وإذا يعلم في المعاهد عالم أُقصيتُ...) ، وهكذا يمضي قصاب منوعا صيغ التصوير الشعري في قصيدته ، وهذا من شأنه جذب المتلقي ، وتحريك فكره ، ودفعه إلى متابعة المعاني من أول القصيدة إلى آخرها.

وقد تآلف في تشكيل هذا المشهد الشعري ــ مع التشخيص ــ فيض من الصور البيانية المعبرة عن عاطفة الشاعر، كالتشبيه في قوله : (صارتِ

الفُصحى يتيمًا ضائعًــا...) ، ولا تخفى دلالة هذه الصورة الجزئية على لؤم بعض أبناء العربية وخستهم في تعاملهم معها .

وكما في قوله : (كان الكلام كــرُقْــية العجماءِ) ، وفيه بيان لرؤيــة قصاب ــ الناقد ــ في شعر الحداثة ، وما يتصف به من غموض وإبهام .

ومن قبيل الاستعارة التصريحية الرائعة تصويره مفــردات الفصــحى وأساليبها روضا معطاء ، وأصدافا ، ودُرّا ، وجوهرا ، وكنوزا في قولــه : (يَغتَذون برَوضِها المِعْطَــاءِ/ لو عاينوا الأصداف في أحشائي/ لو عاينوا ما فيّ من دُرٍّ/ وما في داخلي من جوهر/ أخبــئ من كنــوز) ، وهو تصــوير يوحي بثراء الفصحى وغناها بالألفاظ والأساليب التي تصلح لكل جديد .

كما كثرت الاستعارة المكنية في هذه اللوحة الفنية ، فالفصحى شجرة عظيمة لها أصول وجذور ، والروض طعام يغتذى به ، والحديث شيء مادي يُهصر ، والحروف لها ضلع يُكسر ، والأسماء لها رقبــة تُكســر أيضــا ، والألسن الأعجمية تُزاحِم ، ورطانة الهجناء تعتدي ، والفصحى لها حرمــة وعشرة وإخاء ، وقد أحسَّت بالغربة ، وأصابها الشقاء ، وذلك يتناسب مــع اعتماد الشاعر في قصيدته على التشخيص الذي " يبث الحياة فيما لا حيــاة فيه ، فتصبح المعنويات والأمور المجردة شاخصة أمام الأعين ، ويصير به فاقد الحياة حيا متحركا " [١].

(١) علم البيان ، دراسة تحليلية لمسائل البيان ــ د. بسيوني عبد الفتــاح فيــود ــ ص ٢١٢ بتصرف يسير ــ الطبعة الرابعة ١٤٣٦ هـــ ــ ٢٠١٥ م ــ مؤسســة المختــار للنشــر والتوزيع ــ القاهرة .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كما تمازجت دلالة الصوتيات مع المرئيات والحركيات في إبراز الصورة ، فمما يتصل بالأولى (نُطق/ أسماعهم/ خطيب/ لحَّانة/ الحديث/ تحدَّث/ لُغى/ الكلام/ رُقية/ العجماء/ رطنوا/ رطانة) ، ومما يتصل بالمرئيات (عاينوا/ الأصداف/ دُرّ/ جوهر/ كنوز) ، ومن الحركيات (رفع/ جرَّ ــ بالدلالة اللغوية لا النحوية ــ /هصر/ مُكَسِّرا/ أُقصيت/ زاحمتني/ عَدَت) ، وهذا كله مما يسهم في تجلية المعنى الذي يريده الشاعر من تلك اللوحة ، ويساعد على توضيح الصورة الكلية ، ويحقق التناسق والانسجام بين عناصرها .

وفي آخر مشاهد التصوير الشعري في الهمزية يقول وليد قصاب :

أصبحتُ أسألُ : أين أهلُ مودَّتي؟ أين الصِّحَابُ؟ وأين أهلُ رجائي؟!
كم صُغْتُ من حَسَنٍ ومن أعجوبةٍ وخَطَرْتُ فوقَ حديقةٍ زهراءِ
ورقصتُ في ثوبٍ بهيٍّ فاتنٍ كالغِيْدِ بين أنامِلِ البلغاءِ
كم سُحْتُ في دنيا العلوم رشيقةً أختالُ بينَ أزاهرِ العلماءِ
جابُوا بحورَ مدائني فمنحتُهمْ ما فيَّ من ذهبٍ ومِنْ لألاءِ
واليومَ ما مِنْ جاهلٍ متعالمٍ لم يَشْدُ بعدُ معالمَ الإملاءِ
إلاَّ ويُفتي في أُموري ضَلَّةً ويمورُ من حقدٍ وطولِ عِداءِ
ويقولُ : إني قد غَدَوتُ عتيقةً وأَضيقُ عن عِلْمٍ وعن أنباءِ
إن اللسانَ على النفوس علامةٌ وبه تُقاسُ أصالةُ الأُصَلاَءِ
وبه تُمَيَّزُ أمّةٌ من غيرِها وبه افتخارُ الفتيةِ الشُّرَفَاءِ
ما أمةٌ يومًا تُضيع لسانَها إلا تبيع ذخائر الآباءِ
كم من لغاتٍ في الورى مَطموسةٍ نَبُهَتْ بفضلِ رجالِها النُّجَبَاءِ
فبنُو يهود تمسَّكُوا بلسانِهِمْ أحْيَوْهُ من موتٍ وطولِ عَفَاءِ

فأقاموا منه في فلسطين التي ... غصبوا بناءً طاولوا ببناءِ
وأرى بَنِيَّ تنكَّرُوا لجلودِهم ... واستعبدَتْهُم أَلْسُنُ الدُّخَلاءِ
وتنكَّبُوا ظَهرَ الطَّريق لأمِّهم ... أفَبَعْدَ ثَدي الأمِّ من أثْداءِ؟
لكنني.والله يحفظ ضيعتي. ... سأظل أَشْمَخُ في ذُرا العلياء
فكتاب رب العالمين يضمني ... وتكفلت آياته ببقائي
وأنا لسان المسلمين جميعهم ... ولسان أهلِ الجنة الفضلاء

ففي هذه اللوحة الفنية يلمح القارئ عراقة الفصحى وأصالتها ، ويتنسم جُودها على السابقين بما تحويه من كنوز ولآلئ ، كما يقف على عتابها وتقديمها النصح لأبنائها ، ويشعر كذلك بقوتها وصمودها ، وعزتها وثقتها التامة في نفسها ؛ لأن كتاب رب العالمين حواها ، وحفظها ربنا سبحانه بحفظه ، وكتب لها الخلود في الدنيا والآخرة .

وقد اعتمد الشاعر في رسم هذه الصورة الكلية على صور البيان المتنوعة من تشبيه ومجاز وكناية ، وقد امتزج ذلك كله بتشخيص الفصحى، ومنحها صفات بشرية ؛ فرأيناها تتساءل عن أهل مودتها ، وأصحابها وأهل رجائها ، وقد بدت فتاة جميلة رشيقة ، تخطر وترقص وتختال ، كما أظهرها أُمّا تحب أبناءها ، وتحنو عليهم وإن عقُّوها ، وتجود عليهم بكنوزها ، وتعتب عليهم ، وتسدي إليهم نصائحها في عزة وثقة وشموخ ، كما شاهدنا ألفاظ اللغة وأساليبها بحور مدائن ، وذهبا ولؤلؤا ، و(اللسان) كائنا يتصف بالموت والحياة ... إلى جانب توظيف لفظة (لسان) بمعنى (لغة) بعدة صور على سبيل المجاز المرسل بعلاقة (الآلية)، في : (اللسان/ لسانها/ بلسانِهِمْ / أَلْسُن/ لسان المسلمين / ولسان أهلِ الجنة) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فضلا عن الكناية عن عراقة الفصحى وثرائها بقوله :

كم صُفْتُ من حَسَنٍ ومن أعجوبةٍ وخَطَرْتُ فوقَ حديقةٍ زهراءِ

والكناية عن حداثة السن في مجال علوم اللغة بقوله: (لم يَشْدُ بعدُ معالمَ الإملاءِ) واصفا الجاهل المتعالم من أبناء الفصحى الذي يرميها بالتخلف.

والكناية عن خسة أبناء الفصحى العاقين ونذالتهم ، وتنكرهم لأصلهم وتراثهم ، واستعذابهم الخنوع والخضوع لأعدائهم ، وذلك في قوله :

وأرى بَنِيَّ تنكَّرُوا لجلودِهم واستعبدَتْهُم أَلْسُنُ الدُّخَلاءِ

كما كنى قصاب عن الضلال والانحراف عن جادة الصواب في التعامل مع الفصحى من جانب أبنائها الجهلاء بقوله :

وتنكَّبُوا ظَهرَ الطَّريق لأمِّهم أفَبَعْدَ ثديِ الأمِّ من أثداءِ؟

كما نلمح ظلال الحركة واللون والصوت في مكونات هذه اللوحة الفنية مثل : (خَطَرْتُ/ رَقصتُ/ سُحْتُ/ جابوا/ يمور/ أقاموا/ غصبوا/ يَضُمُّني/ حديقة زهراء/ بهيٍّ ساحر/ ذَهَبٍ/ لألاء/ علامة/ أسأل/ يُفتي/ يقول/ لغات) ونحو ذلك مما يساعد في توضيح الصورة الشعرية وإبراز قسماتها.

وهكذا جاء التصوير في الهمزية نابضا بالحياة والحركة باتكائه على التشخيص الذي عكس أمام المتلقي ذلك الحزن العميق الذي غلَّف عاطفة الشاعر لما آل إليه حال العربية الفصحى بين أبنائها الذين تنكروا لها ، وتخلوا عنها، واتهموها بالجمود والقصور، ذلة منهم وخساسة، وعجزا عن

اصطياد أصدافها ولآلئها ، بسبب جهلهم بأصولها وجذورها ، ومكانتها وعراقتها ، وشرفها وعزتها .

رابعا ـ الإيقاع الموسيقي :

يعد الإيقاع الموسيقي بكل ملامحه من أهم الجوانب الفنية في القصيدة ؛ فـ " الموسيقى عنصر أساسي من عناصر الشعر ، وأداة من أبرز الأدوات التي يستخدمها الشاعر في بناء قصيدته ، وهي من الفوارق الجوهرية التي تميز الشعر عن النثر ... كما أنها ليست حلية خارجية تضاف إلى الشعر ، بل هي وسيلة من أقوى وسائل الإيحاء ، وأقدرها على التعبير عن كل ما هو عميق وخفي في النفس،مما لا يستطيع الكلام أن يعبر عنه، ومن ثم فهي من أقوى وسائل الإيحاء سلطانا على النفس، وأعمقها تأثيرا فيها" [(١)].

والإيقاع الموسيقي في القصيدة الأصيلة قد يكون ظاهرا ، تدركه الأذن من الوهلة الأولى ، وهذا اللون يمثله (الوزن) الذي يتشكل من تكرار وحدة صوتية معينة هي (وحدة الإيقاع) ــ المعروفة بـ (التفعيلة) ــ بعدد محدد يؤلف بدوره موسيقى (البيت) ، ومن ثم يلتزم الشاعر بهذا العدد على امتداد أبيات القصيدة إلى جانب الالتزام بتكرار صوت معين أو مجموعة من الأصوات في نهاية كل بيت ، وهذه هي (القافية) [(٢)].

وقد عزف وليد قصاب همزيته على الإيقاعات الموسيقية لبحر (الكامل) التام ؛ حيث كرر وحدته الإيقاعية (مُتَفَاعِلُنْ) ثلاث مرات في كل

---

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ــ د. علي عشري زايد ــ ص ١٥٤ بتصرف يسير ــ الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢ م ــ مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر ــ القاهرة .

(٢) ينظر : السابق ، ص ١٥٨ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

شطر من كل بيت في القصيدة ، وهو بحر يصلح لكل أنواع الشعر ، ومن ثم ارتاده الشعراء قديما ، وأكثروا منه حديثا حتى وُصِف بأنه مطية الشعراء المحدثين ، كما أنه البحر الذي يستمتع به جمهور السامعين من محبي الشعر ؛ لما يمتاز به من جرْسٍ موسيقي واضح يتولد من كثرة حركات وحدته الإيقاعية المتلاحقة ــ (مُتَفَاعِلُنْ ///O//O) ــ التي تكاد تنحو به نحو الرتابة لولا كثرة ما يدخلها من إضمار (إسكان الثاني المتحرك ــ زحاف لا يلزم) ، فتصير (مُتْفَاعِلُن /O/O//O) ، وتتحول إلى (مُسْتَفْعِلُنْ) [١].

وبترديد أبيات الهمزية بعد مطلعها ، يتبين أن الشاعر بنى إيقاعها بعروض صحيحة (مُتَفَاعِلُنْ ///O//O) قد تأتي مضمرة (مُتْفَاعِلُن /O/O//O) ، مع ضرب مقطوع ــ (القطع : حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين ما قبله) ــ ، تفعيلته (مُتَفَاعِلْ ///O/O) ، وقد يدخله الإضمار ، فيتحول إيقاعه إلى (متْفاعلْ /O/O/O) [٢] ، كما في قوله :

وأرى الحِرَابَ تَجَمَّعَتْ لتنُوشَنِي	وتَعِيثَ في دَوْحِي وفي أَفْنَائِي
وَأَرَلْحِرَا/بَ تَجْمَعَتْ/لِتَنُوشَنِي	وتَعِيثَ في/دَوْحِي وفي/أَفْنَائِي
O//O/// O//O/// O//O///	O/O/O/ O//O/O/ O//O///
مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ متْفاعلنْ(مسْتفعلن) متْفاعلْ

(١) ينظر : موسيقى الشعر ــ د. إبراهيم أنيس ــ ص ٢٠٦ ــ الطبعة الثانية ١٩٥٢م ــ طبع ونشر : مكتبة الأنجلو المصرية . وينظر : المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ــ د. إميل بديع يعقوب ــ ص ١١٤ ــ الطبعة الأولى ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان .

(٢) ينظر : المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ــ د. إميل بديع يعقوب ــ ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

مِنْ كُلِّ فَجٍّ ظَـــــاهَرُوا في ذِلَّتِي كَثَرَ الـذِينَ يَسُـرُّهُمْ إِقْنَائِي

مِنْ كُلْلِ فَجْ/جِنْ ظَاهَرُو/في ذِلْلَتِي كَثَرَ لْلَـذِي/نَ يَسُـرُرْهُمْ/إِقْنَائِي

O/O/O/ O//O/// O//O/// /O//O/O O//O/O/ O//O/O/

مُتْفاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتْفاعِلُنْ(مُسْتفعلن) مُتْفاعِلُنْ(مُسْتفعلن)

وقوله :

أنا أمُّهم ، أمُّ اللغاتِ جميعِها فضلٌ خُصِصْتُ به علـــى النُّظَرَاءِ

أَنَأُمْمُهُمْ/أُمْمُلْلُغا/تِ جميعِـــها فَضْلُنْ خُصِصْ/تُ بِهِي عَلَنْ/نُظَرَائِي

O/O/// O//O/// O//O/O/ /O//O/// O//O/// O/O///

مُتَفَاعِلُنْ مُتْفاعِلُنْ(مُسْتفعلن) مُتَفَاعِلُنْ مُتْفاعِلُنْ(مُسْتفعلن) مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلْ

إنـــي أنا الضادُ التي قد شُرِّفَتْ وتفـــــــرَّدَتْ بمحاسنٍ وبهـاءِ

إِنْنِي أَنَضْ/ضَادُ لْلَتِي/قَدْ شُرْرِفَتْ وَتَفَـــــرْرَدَتْ/ بِمَحَاسِنْ/وبهـاءِ

O/O/// O//O/// O//O/// /O//O/O O//O/O/ O//O/O/

مُتْفاعِلُنْ(مُسْتفعلن) مُتْفاعِلُنْ(مُسْتفعلن) مُتْفاعِلُنْ(مُسْتفعلن) مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مَتَفاعِلْ

وعلى هذا النحو تسير إيقاعات وزن الكامل الموسيقية التي نظم عليها قصاب قصيدته ، أما عن القافية ، وتبدأ " من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع ما قبله " [١] ، وبأسلوب آخر : هي عبارة عن آخر ســاكنين في البيت ــ وما بينهما إن وُجد ــ مع المتحرك الذي قبل أولهما ، ومن ثم فالقافية تمثلها " عدة أصوات تتكرر في أواخــر الأشــطر أو الأبيــات مــن

(١) المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ــ د. إميل بــديع يعقــوب ــ ص ٣٤٧ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

القصيدة ، وتكررها هذا يكوِّن جزءا هاما من الموسيقى الشعرية ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة ، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن ..... وأقل ما يمكن أن يراعى تكرره من تلك الأصوات ، وما يجب أن يشترك في كل قوافي القصيدة ذلك الصوت الذى تبنى عليه الأبيات ، وتنسب إليه القصيدة فيقال همزية أو سينية أو رائية ... إذا كان آخرها الهمزة أو السين أو الراء ... ، ويسميه أهل العروض بالروي ، فلا يكون الشعر مقفى إلا بأن يشتمل على ذلك الصوت المكرر في أواخر الأبيات " [١] ، على أن الروي إذا تحرك بـ (فتح أو ضم أو كسر) كانت القافية مطلقة ، وإذا جاء ساكنا تكون مقيدة [٢].

وبالنظر في القصيدة ــ محل الدراسة ــ يتبين أن رويها همزة متحركة بالكسر ، فالقصيدة همزية ، وقافيتها مطلقة ، كما أنها ــ أيضا ــ مردوفة موصولة ؛ لأن الشاعر التزم فيها ــ إلى جانب الروي ــ بحرفين آخرين من حروف القافية ، أولهما : الردف ، وهو " حرف مد أو لين يقع قبل الروي دون فاصل بينهما " [٣] ، والآخر : الوصل ، وهو " حرف مد ينشأ عن إشباع الحركة في آخر الروي المطلق " [٤] ، والقافية بحروفها تلك ــ على هذا النحو ــ تتضح مع مطلع القصيدة :

---

(١) موسيقى الشعر ــ د. إبراهيم أنيس ــ ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ بتصرف.

(٢) ينظر : السابق ــ ص ٢٥٨ .

(٣) المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ــ ص ٣٥١ .

(٤) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ــ السيد أحمد الهاشمي ــ تحقيق :علاء الدين عطية ــ ص ١٣٠ ــ الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م ــ مكتبة دار البيروتي ــ دمشق .

أشكُو إلى ربي عظيمَ بلائي وتَوَثُّبَ الحُسَّادِ والأعداءِ

فالقافية ــ هنا ــ جزء من كلمة (الأعدَاءِ) وهو (دَائِي) ، فالساكنان هما الياء الناشئة من إشباع كسرة (الروي) الهمزة ، وهي (الوصل) ، وألف المد الواقعة قبل الروي ، وهي (الردف) ، والمتحرك قبلها في هذا البيت هو حرف الدال ، وعلى هذا النسق يسير إيقاع القافية الموسيقي بتكرار هذه الأصوات حتى نهاية القصيدة ، والذي تأثر فيه قصاب تماما بنظيره في تائية حافظ إبراهيم باستثناء حرف الروي (الهمزة/التاء) ، وتعد القافية المطلقة التي يُسبَق رويها بحرف مد معين يُلتزَم في كل أبيات القصيدة ــ مثل الألف هنا ــ في أعلى مراتب القافية كمالا موسيقيا [(١)].

وتجدر الإشارة ــ هنا ــ إلى أن هذا الإيقاع الموسيقي الذي تحدثه أصوات حروف القافية في نهاية كل بيت من الردف (الألف) وامتداد الصوت معه لأعلى ، ثم هبوط نبرته بعد ذلك عند النطق بالروي المكسور (الهمزة) التي تخرج من أقصى الحلق ، ثم انقطاع الصوت تماما بعد التشبع بياء (الوصل) ــ هذا الإيقاع المؤثر ــ يناسب أنين الفصحى وتوجعها وشكواها ، ويعكس الحزن الكامن بأعماق الشاعر لما آل إليه حالها بين أبنائها .

وفي سبيل محافظته على نغم الإيقاع الظاهر في القصيدة اضطر وليد قصاب إلى الإفادة من إحدى الضرورات المقبولة في الشعر ، وهي صرف الممنوع صرفه ، وذلك في قوله :

إني أنا الضادُ التي قد شُرِّفَتْ وتفـرَّدَتْ بمحاسنٍ وبهاءِ

(١) ينظر: موسيقى الشعر ــ د. إبراهيم أنيس ــ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقوله :

قد صارتِ الفُصحى يتيمًا ضائعًا مـــــا بينَ أبناءٍ لها جُهَلاَءِ

وقوله :

كم صُفْتُ من حَسَنٍ ومن أعجوبةٍ وخَطَرْتُ فوقَ حديقةٍ زهراءِ

فقد صرف شاعرنا الكلمات (محاسن) في حشو البيت الأول ، وهي ممنوعة من الصرف ؛ لأنها من صيغ منتهى الجموع ، و(جهلاء ــ زهراء) في آخِرِ البيتين الآخَرَيْن ، وحقهما المنع من الصرف أيضا ؛ لانتهائهما بألف التأنيث الممدودة الزائدة بعد أكثر من حرفين ، والصرف هنا على سبيل الاضطرار ؛ للمحافظة على سلامة الوزن من جهة ، وعدم اختلال الإيقاع الموسيقي الناشئ عن حركة الروي المكسور في كل أبيات القصيدة من جهة أخرى .

ووراء هذا الإيقاع الموسيقي الظاهر المتمثل في (الوزن والقافية) نوع آخر يكون خفيا ، يقوم على " اختيار الشاعر لكلماته ، وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات ، وكأن للشاعر أذناً داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع كل شكلة وكل حرف وحركة بوضوح تام ، وبهذه الموسيقى الخفية يتفاضل الشعراء " (١) .

على أن هذا اللون من الموسيقي لا يدركه المتلقي ، ولا يستمتع بأثره إلا إذا كان ذا أذن حساسة لا يخفى عليها الهمس ، بل تلمسه وتحسه بمثل الدرجة التي تدرك بها جلجلة الألفاظ ورنينها (٢) .

---

(١) في النقد الأدبي ــ د. شوقي ضيف ــ ص ٩٧ .

(٢) ينظر : في ميزان النقد الأدبي ، د/ طه أبو كريشة ، ص٣٤.

ولهذا الإيقاع مصادر متنوعة ، منها (التصريع) ، و" هو عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت ، وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي والإعراب ، وهو أليق ما يكون بمطالع القصائد ، وفي وسطها ربما تمجه الأذواق والأسماع " [١] ، وهذا ما زين مطلع الهمزية :

أشْكُو إلـــى ربِّي عظيمَ بلائِي	وتَوَثُّبَ الحُسَّـــادِ والأعـداءِ
أَشْكُو إلى/ ربْبِي عظيـ/ـمَ بلائي	وتَوَثُّبَ/حُسْسَادِ ولْ/أعـدائِي
O/O/// O//O/O/ O//O/O/	O/O/O/ O//O/O/ O//O///
متْفاعلنْ(مسْتفعلن) متْفاعلنْ(مسْتفعلن) مُتَفَاعِلْ	مُتَفَاعِلُنْ متْفاعلنْ(مسْتفعلن) متْفاعلْ

فكما سبق بيانه أن الشاعر قد بنى همزيته على إيقاعات بحر (الكامل) بعروض صحيحة (مُتَفَاعِلُنْ ///O//O) قد تأتي مضمرة (مُتْفَاعِلُن /O//O/O) ، مع ضرب مقطوع ــ (القطع : حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين ما قبله) ــ ، تفعيلته (مُتَفَاعِلْ ///O/O) ، وقد يدخله الإضمار ، فيتحول إيقاعه إلى (متْفاعلْ /O/O/O) [٢] ، غير إنه في مطلعها ــ كما رأينا ــ قد ألحق العروض بالضرب في الوزن (القطع ــ مع غض الطرف عن الإضمار؛ فهو جائز ولا يلزم) ، وفي حروف القافية من الروي (الهمزة) ، والردف (الألف) قبله ، والوصل (الياء الناشئة من إشباع كسرة الروي) ، وتعادلها (ياء المتكلم) في العروض ، وفي الإعراب (الجر بالكسرة) ، وهذا التصريع يضفى على مطلع القصيدة مزيداً من جمال الإيقاع الذي يؤثر

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب ــ لتقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي ــ شرح : عصام شعيتو ــ ج ٢ ــ ص ٢٧٨ .

(٢) ينظر : المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ــ د. إميل بديع يعقوب ــ ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في نفس المتلقي ، كما يدله على قافية القصيدة من أول شطر ، وقبل تمـــام أول بيت فيها .

ومن مصادر تلك الموسيقى الخفية ــ أيضا ــ المحسنات البديعيـــة ، كالترصيع ــ وهو " توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها " (١)

ــ في قول قصاب :

ربَّيْتُهُم في دَوحَتي ، أعطيْتُهم من جنَّتي ، وكسَوْتُهم برِدَائـي

وقوله :

ما بالُهم لا يعبؤونَ بحُرْمَتِي أو يَشفعونَ لغربتِي وشقائي

فالتوازن جلي في حشو البيت الأول بين (ربَّيْتُهُم في دَوحَتي) ، وبين (أعطيْتُهم من جنَّتي) ، وفي حشو البيت الثاني بين (لا يعبؤونَ بحُرْمَتِـــي) ، وبين (أو يَشفعونَ لغربتِي) ، وكأن الشاعر أضاف إلي كل منهما قافية أخرى داخلية تزيد ما فيهما من عذوبة النغم ، وحلاوة الإيقاع مما يسترعي الآذان، ويأسر القلوب والألباب .

ومن هذه المحسنات ــ أيضا ــ نجد الجناس الناقص بين (شـــوهوا) و(تشبهوا) في قول قصاب :

الشعر رمزِي شوهوا قسماته وتشبهوا بمشاعر الغربـــاء

وكذلك مجانسته بين (تضيع) و(تبيع) في قوله :

ما أمةٌ يوما تُضِيع لسانَهـا إلا تبيع ذخائـر الآبـاء

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ــ السيد أحمد الهاشمي ــ تحقيق : د. يوسف الصميلي ، ص ٣٣٢ ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ١٤٣٧ هـ ــ ٢٠١٦ م.

وفي الجناس " ترديد صوتي في الكلام ، ينشأ عنه إيقاع موسيقي تطرب له الآذان ، وتستمتع به الأسماع " (١) .

ومنها ــ أيضا ــ الطباق بين (أَحْيَوْهُ) و(مَوْتٍ) ، في قوله :

فبنُو يهود تمسَّكُوا بلسانِهِمْ أَحْيَوْهُ من مَوْتٍ وطولِ عَفَاءِ

وفيه إظهار حال لغة اليهود قديما ، ومدى ما قدموه لها حديثا ؛ فقد كانت بين اللغات الميتة المندثرة ، لكنهم تمسكوا بها ، وأعادوها إلى الحياة مرة أخرى ، وفي البيت تعريض بأبناء العربية الذين لا يعرفون قيمة لغتهم، ويجهلون شرفها ، ولا يقدرون مكانتها ، ويجحدون فضلها .

وكذلك المطابقة بين (بَنِيَّ) و(الدُّخَلاءِ) ، والتي تكشف عن حب العربية الجم لأبنائها مع عقوقهم إياها بهجرها إلى غيرها ، وذلك في قول قصاب :

وأرى بَنِيَّ تنكَّرُوا لجلودِهم واستعبدَتْهُم أَلْسُنُ الدُّخَلاءِ

فالطباق جَمْعٌ بين متضادين بقصد إيضاح المعنى وتقويته في ذهن المتلقي بعد استثارة فكره ، وتحريك لبه ، وهو بهذا يضفي على التعبير الشعري حيوية وحركة ، وإيقاعا خفيا يستهوي الأفئدة ، ويمتع النفوس .

كما يتشكل هذا الإيقاع ــ أيضا ــ من الصوائت الطويلة أو حروف المد (الألف والواو والياء المسبوقة بحركة مجانسة) والتي لا يخلو منها بيت في الهمزية ؛ ففيها من إطالة الصوت ومده ، وتموج نبراته ما يتناسب مع أنين الفصحى وتألمها وشكواها ، وما يجسد تجربة قصاب الشعورية

(١) موسيقى الشعر ــ د. إبراهيم أنيس ــ ص ٤٣ بتصرف .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التي صبغها التوجع والحزن على حال لغة القرآن الكريم بين أبنائها اليوم ، فضلا عن إسهام بعض الظواهر الأسلوبية ــ التي سبق الحديث عنها ــ في بناء هذا الإيقاع الموسيقي ، كالتنويع بين الخبر والإنشاء ، والتكرار بكل أشكاله مع انتخاب الألفاظ والأساليب القريبة المألوفة ، السهلة الواضحة ، المعبرة عن المعاني في تآزر وتلاؤم ، وبروز عنصر التشخيص ، وحديث الفصحى عن نفسها ، وتوظيف (الالتفات) خلاله ... كل ذلك أحدث إيقاعا موسيقيا زائدا على نغم الوزن والقافية ، وهذا من شأنه التأثير في حس المتلقي ونفسه ، وعاطفته ووجدانه ، واستثارة انتباهه ، وحمله على مشاطرة الشاعر تجربته وانفعالاته ، ومتابعة القصيدة في إقبال ونشاط حتى منتهاها .

خاتمة

وبعد هذه الرحلة الأدبية الشجية في دروب (همزية) الدكتور وليد قصاب بمرتكزاتها الفكرية ، ومنعطفاتها الفنية ، تطيب لي الإشارة إلى أهم نتائج الدراسة فيما يلي :

١ــ يقف الدكتور وليد قصاب ــ الأديب الناقد ــ بـ (همزيته) بين كبار شعراء الفصحى الغيورين على لغتهم ، المنافحين عنها بإبداعهم ممن شعروا بمسؤوليتهم تجاهها ، فهبُّوا لإيقاظ الضمير الجمعي لأبنائها حتى يضطلعوا بواجبهم نحوها من أمثال حافظ ، والجارم ، والرافعي ، ومطران .. وغيرهم.

٢ ــ شاعرنا ــ من خلال الامتداد الزمني لتجربته الشعرية في الهمزية ــ يوضع مع أصحاب الصنعة الذين يتعهدون فنهم بمعاودة النظر ، والتنقيح ، والتغيير ، والزيادة مع دلالة ذلك ــ في همزيته ــ على استمرار حمله همَّ الفصحى ، وانشغاله بالدفاع عنها .

٣ ــ برزت ــ من خلال الدراسة ــ شخصية قصاب الفنية ؛ فهو أديب إسلامي ، ينتمي إلى التيار الاتباعي المحافظ على التقاليد الشعرية الأصيلة ، ويتضح ذلك أكثر بدراسات أخرى منتظرة من الباحثين حول إبداعه الأدبي المتنوع شعرا ونثرا .

٤ ــ كشفت الدراسة ــ في جلاء ــ عن تأثر الدكتور وليد قصاب في (همزيته) بـ (تائية) شاعر النيل حافظ إبراهيم في أمور فنية متعددة منها : الغرض ، والعنوان ، وبعض المعاني ، وطريقة التصوير الشعري المعتمد على تشخيص الفصحى ، والحديث بلسانها ، والتصريع ، وإيقاع القافية .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٥ ــ دارت أفكار (الهمزية) في فلك موضوع واحد لم تخرج عنه من فاتحتها حتى خاتمتها ، وهذه سمة غالبة في شعر المعاصرين .

٦ ــ أوضحت الدراسة وضوح ألفاظ (الهمزية) وسهولتها ، وقربها وألفتها دون غموض أو تقعر ، أو تكلف أو ابتذال في جملتها ، ومن ثم فإن تلك السمات قد انعكست على أساليبها ، فجاءت واضحة ، فصيحة ، صحيحة ، معبرة عن معناها العام دون تعقيد أو إبهام ، حيث يستطيع القارئ أن يقف عليه من الوهلة الأولى دون عناء.

٧ ــ زاوج الشاعر في أساليب قصيدته بين الخبر والإنشاء مع غلبة الأسلوب الخبري ، فضلا عن احتفاله ببعض الظواهر الأسلوبية كالتكرار ، والاقتباس والتضمين ، وبث بعض الحكم التي تظهر مكانة اللغة وأهميتها ، وتبين حتمية المحافظة عليها .

٨ ــ جاء التصوير في (الهمزية) نابضا بالحياة والحركة باتكائه على تشخيص الفصحى ، وبث الشكوى والأنين بلسانها ؛ مما عكس أمام المتلقي ذلك الحزن العميق الذي غلَّف عاطفة الشاعر على ما آل إليه حال العربية بين أبنائها الذين تنكروا لها ، وتخلوا عنها ، واتهموها بالجمود والقصور ، ذلة منهم وخساسة ، وعجزا عن اصطياد أصدافها ولآلئها ، بسبب جهلهم بأصولها وجذورها ، ومكانتها وعراقتها ، وشرفها وعزتها .

٩ ــ تمكن وليد قصاب من توظيف طاقات اللغة التصويرية والصوتية بمفرداتها وتراكيبها وحروفها في توفير إيقاع موسيقي شجي لـ (همزيته) يتناسب مع موضوعها وغرضها ، ويلائم ما يعتمل بعاطفته ووجدانه من شعور بالأسى والمرارة والألم تجاه ما تعانيه لغتنا الفصحى منذ عقود

الاحتلال الأجنبي لأقطار العروبة حتى وقتنا الراهن من جهة ، وبما يضمن له تفاعل المتلقي معه ، ومشاركته إياه ما يمور بداخله من مشاعر وأحاسيس من جهة أخرى .

وبعد

فهذا جهدي ــ جهد المقل ــ لا أدعي فيه الكمال أو مقاربته ؛ فهو عمل بشري يؤخذ منه ، ويرد عليه ، وما كان فيه من توفيق فتلك منة وفضل من الله ﷻ ، وما كان غير ذلك فحسبي أنني أفرغت الجهد ، والله من وراء القصد ، أسأله سبحانه التوفيق لخدمة لغة القرآن الكريم ، عليه توكلت ، وإليه أنيب .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم .
ـ أزمة العصر ـ محمد محمد حسين ـ دار عكاظ للطباعة والنشر ـ المملكة العربية السعودية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .
ـ أسس النقد الأدبي عند العرب ـ د/ أحمد أحمد بدوي ـ الطبعة الأولى ١٩٧٩م ـ دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
ـ الأسلوب ـ أحمد الشايب ـ الطبعة السابعة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ـ مكتبة النهضة المصرية .
ـ أصول النقد الأدبي ـ أحمد الشايب ـ الطبعة العاشرة ١٩٩٤م ـ مكتبة النهضة المصرية .
ـ البحث البلاغي عند العرب ـ د. شفيع السيد ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٩٦ م .
ـ البلاغة العربية ، أسسها ، وعلومها ، وفنونها ـ عبد الرحمن حسن حبَنَّكة الميداني ـ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م ـ دار القلم ـ دمشق ـ والدار الشامية ـ بيروت .
ـ الجامع لشعب الإيمان ـ للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد ـ الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م ـ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية .
ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ـ السيد أحمد الهاشمي ـ تحقيق : د. يوسف الصميلي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦ م .

ـ خزانة الأدب وغاية الأرب ـ لتقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي ـ شرح : عصام شعيتو ـ الطبعة الأولى ١٩٨٧ م ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ لبنان .

ـ خليل مطران ـ الأعمال الشعرية الكاملة ـ جمع وترتيب ومراجعة : د/ أحمد درويش ـ الطبعة الأولى ٢٠١٠م ـ مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ـ الكويت.

ـ دلائل الإعجاز ـ للإمام عبد القاهر الجرجاني ـ تعليق/ محمود محمد شاكر ـ مطبعة المدني ـ نشر مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٨٤م .

ـ ديوان حافظ إبراهيم ـ ضبط وشرح أحمد أمين وآخرين ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٧ م ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ـ ديوان الرافعي ـ نظم : مصطفى صادق الرافعي ـ شرح : محمد كامل الرافعي ـ مطبعة الجامعة بالإسكندرية ١٣٢٢هـ .

ـ ديوان علي الجارم ـ الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م ـ دار الشروق ـ مصر .

ـ ديوان فارس الأحلام القديمة ـ د.وليد قصاب ـ دار الثقافة ، الدوحة : ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

ـ رابطة أدباء الشام ـ الأديب الناقد الدكتور وليد القصاب ـ بقلم : أيمن بن أحمد ذو الغنى ـ آخر مطالعة بتاريخ ٢٠٢٠/٦/١٠م على الرابط التالي :

http://www.odabasham.net/ تراجم/٥٦٠٧٨-الأديب-الناقد-الدكتور-وليد-القصاب

ـ سنن الترمذي ـ للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي ـ تعليق العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الأولى

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٤١٧هـ ــ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ــ الرياض ــ المملكة العربية السعودية .

ــ سيمياء العنوان ــ د/ بسام موسى قطوس ــ الطبعة الأولى ٢٠٠١م ــ مكتبة كتانة ــ إربد ــ الأردن .

ــ شبكة الألوكة ــ موقع الدكتور وليد قصاب ــ السيرة الذاتية ــ آخر مطالعة بتاريخ ٢٠٢٠/٦/١٠م على الرابط التالي :
https://www.alukah.net/web/alkassab/cv/

ــ شبكة الألوكة ــ موقع الدكتور وليد قصاب ــ قصيدة (العربية تشكو أبناءها) ــ آخر مطالعة بتاريخ ٢٠٢٠/٦/١٣م على الرابط التالي :
https://www.alukah.net/web/alkassab/10510/85/

ــ علم البيان ، دراسة تحليلية لمسائل البيان ــ د. بسيوني عبد الفتاح فيود ــ الطبعة الرابعة ١٤٣٦ هـ ــ ٢٠١٥ م ــ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ــ القاهرة .

ــ العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده ــ لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ــ تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ــ الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م ــ دار الجيل ــ بيروت ــ لبنان .

ــ عن بناء القصيدة العربية الحديثة ــ د.علي عشري زايد ــ الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م ــ مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر ــ القاهرة .

ــ الفصحى لغة القرآن ــ أنور الجندي ــ دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ــ بيروت ــ لبنان ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م .

ــ فقه اللغة ــ مفهومه ــ موضوعاته ــ قضاياه ــ محمد بن إبراهيم الحمد ــ الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥ م ــ دار ابن خزيمة ــ المملكة العربية السعودية .

ـ في الأدب والنقد ـ د. شوقي ضيف ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٩٩م .
ـ في ميزان النقد الأدبي ـ د/ طه مصطفى أبو كريشة ـ مطبعة المليجي ـ الجيزة ـ القاهرة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .
ـ في النقد الأدبي ـ د. شوقي ضيف ـ الطبعة التاسعة ٢٠٠٤ م ـ دار المعارف ـ مصر.
ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ تحقيق : عبد الله علي الكبير ـ محمد أحمد حسب الله ـ هاشم محمد شاذلي ـ سيد رمضان أحمد ـ طبعة : دار المعارف ـ مصر د.ت .
ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ لضياء الدين بن الأثير ـ تقديم وتعليق د/ أحمد الحوفي ، د/ بدوي طبانة ـ القسم الثالث ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة ـ القاهرة ـ د.ت .
ـ مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي ـ د/ عبد الله بن سليم الرشيد ـ الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م ـ نادي القصيم الأدبي ـ بريدة ـ المملكة العربية السعودية .
ـ معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين ـ أحمد الجدع ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ـ دار الضياء ـ عمَّان ـ الأردن .
ـ معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م ـ كامل سلمان الجبوري ـ الطبعة الأولى ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .
ـ المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ـ د. إميل بديع يعقوب ـ الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ـ المعجم المفصل في اللغة والأدب ـ تأليف : د/ إميل بديع يعقوب ـ د/ ميشال عاصي ـ الطبعة الأولى ١٩٨٧م ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان .

ـ مفتاح العلوم ـ تأليف : أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ـ تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ـ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

ـ مقدمة ابن خلدون ـ تحقيق د. علي عبد الواحد وافي ـ دار نهضة مصر ـ الطبعة السابعة ٢٠١٤ م .

ـ منتدى مجمع اللغة العربية ـ بمكة ـ على الشبكة العالمية ـ قصيدة (العربية تشكو حظها بين أبنائها) للدكتور والشاعر وليد قصاب ، ضمن برنامج إحدى مسابقات المنتدى ـ آخر مطالعة بتاريخ ٢٠٢٠/٦/١٤م على الرابط التالي :

http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=6613/

ـ موسيقى الشعر ـ د. إبراهيم أنيس ـ الطبعة الثانية ١٩٥٢م ـ طبع ونشر : مكتبة الأنجلو المصرية .

ـ ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ـ السيد أحمد الهاشمي ـ تحقيق :علاء الدين عطية ـ الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ـ مكتبة دار البيروتي ـ دمشق .

ـ نظرية الشعر في النقد العربي القديم ـ د/ عبد الفتاح عثمان ـ مكتبة الشباب بالمنيرة ـ مصر ١٩٨١ م .

ـ النقد الأدبي الحديث ـ أصوله واتجاهاته ـ د/ أحمد كمال زكى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٤٥
٢.	Abstract	٤٧
٣.	مقدمة	٤٩
٤.	تمهيد : بين الشاعر والقصيدة	٥٢
٥.	أولا ـ وليد قصاب (رحلة حياة ، ومعالم إبداع)	٥٢
٦.	ـ تعليمه ودراساته	٥٢
٧.	ـ وظائفه وأعماله	٥٣
٨.	ـ نتاجه العلمي وإبداعاته الفنية	٥٤
٩.	ثانيا ـ نص القصيدة	٥٨
١٠.	أ ـ القصيدة في ديوان الشاعر (فارس الأحلام القديمة)	٥٨
١١.	ب ـ القصيدة في منتدى مجمع اللغة العربية ـ بمكة ـ على الشبكة العالمية	٦٠
١٢.	المبحث الأول : البناء الفكري في القصيدة	٦٤
١٣.	جو النص وأفكاره	٦٤
١٤.	الفكرة الأولى : أنين اللغة العربية ، وشكواها عقوق أبنائها	٦٧
١٥.	الفكرة الثانية : فخر العربية ، وتشريفها بالقرآن الكريم .	٦٩
١٦.	الفكرة الثالثة : ضياع الفصحى بجهل أبنائها، وأمارات ذلك.	٧٠
١٧.	الفكرة الرابعة : فضل العربية عرفه القدماء ، وجحد به بعض المحدثين .	٧٣
١٨.	الفكرة الخامسة : مقومات حفظ اللغة وتراثها	٧٤
١٩.	الفكرة السادسة : ثقة العربية ، وعزتها وشموخها	٧٥
٢٠.	المبحث الثاني : البناء الفني في القصيدة	٧٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

م	الموضوع	الصفحة
٢١.	أولا ـ القصيدة من العنوان إلى الختام	٧٦
٢٢.	أ ـ العنوان	٧٦
٢٣.	ب ـ المطلع	٧٩
٢٤.	ج ـ حسن التخلص	٨١
٢٥.	د ـ ختام القصيدة	٨٢
٢٦.	ثانيا ـ التعبير الشعري	٨٣
٢٧.	ـ الألفاظ	٨٤
٢٨.	ـ الأساليب	٩٢
٢٩.	ظواهر أسلوبية	٩٩
٣٠.	١ ـ التكرار	٩٩
٣١.	٢ ـ الاقتباس والتضمين	١٠٣
٣٢.	٣ ـ الحكمة	١٠٨
٣٣.	ثالثا ـ التصوير الشعري	١٠٩
٣٤.	رابعا ـ الإيقاع الموسيقي	١١٩
٣٥.	خاتمة	١٢٩
٣٦.	المصادر والمراجع	١٣٢
٣٧.	فهرس الموضوعات	١٣٧